الوحدة الإسلاميّة

في خطب وأحاديث

سماحة آية الله الشّيخ عيسى أحمد قاسم
وسماحة العلّامة السّيّد عبد الله الغريفي

all pages.indd 1 2012-02-09 9:59:10 PM

هُويَّة الكتيِّب

اســـــــمـــــه: الوحدة الإسلاميَّة

إصـــــــــدار: المجلس الإسلامي العلمائي - دائرة الثقافة والعلاقات

إعـــــــــداد: حوزة المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ للدِّراسات الإسلاميَّة التَّخصصيَّة

المراجعة والتَّدقيق: شعبة القلم

تصميم وإخـــراج: إبراهيم المعلم

الـطَّـــبـــعـــة: الأولى ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

all pages.indd 2 2012-02-09 9:59:11 PM

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. (آل عمران:١٠٣)

all pages.indd 3 2012-02-09 9:59:11 PM

all pages.indd 4 2012-02-09 9:59:11 PM

المحتويات

المقدّمة ٩

تمهيد ١٠

الباب الأوَّل
الوحدة الإسلاميَّة

الوحدة الإسلاميَّة الكبرى ١٣

الوحدة بين الإلغاء والاحترام ١٤

ركائز الوحدة ١٤

دواعي الوحدة ١٥

بين الوحدة والشَّتات ١٦

لا توحُّد على الباطل ١٧

ما هو متعلّق الوحدة كما تظنُّ؟ ١٨

ما هي الأمَّة المسلمة المؤمنة؟ ٢٠

ما الأسباب؟ ٢٤

إلى متى؟، ولماذا الجدار السَّميك العازل؟! ٢٥

من المسؤول؟ ٢٦

مقترحات للوحدة الإسلاميَّة ٢٦

الباب الثَّاني
الوحدة الإسلاميَّة والوطنيَّة

وحدة الوطن والأمَّة ٣٠

هل العلاقة بين الوحدة الوطنيَّة ووحدة الأمَّة علاقة انسجام؟، أو علاقة تهافت وتعارض؟ ٣٢

all pages.indd 5 2012-02-09 9:59:11 PM

الباب الثَّالث

المسلمون بين الوحدويِّين والتَّكفيريِّين

الإمام الخميني وأسبوع الوحدة ٣٥

تكفير المسلمين مهلكة ٣٧

حلّ الدَّم الحرام ٣٨

الباب الرَّابع

الوحدة الإسلاميَّة في البحرين

الوحدة الإسلاميَّة في البحرين ٤١

العلاقات المذهبيَّة في البحرين ٤١

ولكي لا تسقط هذه المبادرات يجب ٤٣

محاربة الطَّائفيَّة البغيضة ٤٥

الطَّائفيَّة المرفوضة ٤٥

دعونا نتحدَّث بصراحة.. ..... ٤٦

الباب الخامس

خطاب الوحدة، الاتِّجاهات والمواقف

الاتِّجاه الأوَّل: الاتِّجاه المتعصِّب ٥٣

الاتِّجاه الثَّاني: الاتِّجاه المتحفِّظ ٥٤

الاتِّجاه الثّالث: الاتِّجاه المتشائم ٥٥

الاتِّجاه الرَّابع: الاتِّجاه الكسول ٥٨

الاتِّجاه الخامس: الاتِّجاه المتفائل ٥٩

all pages.indd 6 2012-02-09 9:59:11 PM

كيف يمكن التَّعاطي مع الاختلافات المذهبيَّة؟ ٦٠
الرُّؤية الأولى: نبذ الإثارة المذهبيَّة ٦٠
الرُّؤية الثَّانية: طرح جميع القضايا ٦١
الرُّؤية الثَّالثة: تحريك الاختلافات في الدَّائرة العلميَّة ٦١
كيف نواجه ضغوطات الاختلاف المذهبيّ؟ ٦٢

الباب السَّادس

الحـــوار والـــوحـــدة

الحوار وضمانات النَّجاح ٦٥
الشَّرط الأوَّل: أنْ يكون هدف الحوار واضحًا ٦٥
الشَّرط الثَّاني: الكفاءة التي تؤهِّل المتحاور لعمليَّة الحوار ٦٥
الشَّرط الثَّالث: أنْ يحتكم الحوار إلى مرجعيَّة متَّفق عليها ٦٧
الشَّرط الرَّابع: أنْ يكون الحـــوار موضوعيًّا لا تحكمه المؤثِّرات الذَّاتيَّة والدَّوافع النَّفعيَّة المصلحيَّة الأنانيَّة ٦٨
الشَّرط الخامس: أنْ تـحكم الـــحـــوارَ روحُ المحبَّةِ والصَّفاء، لا روحُ الحـقـــدِ والعـــداءِ والكراهيَّة ٦٩
الشَّرط السَّادس: لا تلغِ الآخرَ وأنت تحاورُهُ ٦٩
الشَّرط السَّابع: لا تّتهم دوافع الآخر الذي تحاوره ٧٠
الشَّرط الثَّامن: التَّأكيد على نقاط الاتِّفاق أوَّلا ٧١
الشَّرط التَّاسع: أنْ تكون لغةُ الحوارِ نظيفة ٧٢
الشَّرط العاشر: أنْ تكون لغةُ الحوارِ ليِّنةً مرنةً شفَّافةً ٧٤
الشَّرط الحادي عشر: صراحة مملوءة بالحبِّ والصَّفاء والأُخوَّة ٧٧
الشَّرط الثَّاني عشر: أنْ يتَّفق المتحاورون على شروط الحوار وعلى الالتزام بها ٧٧
وكيف نحرِّكُ هذا الخطاب؟ ٧٨

all pages.indd 7 2012-02-09 9:59:11 PM

تنويه: كلُّ ما في هذا الكتيب هو عبارة عن نصوص مقتبسة، ولقد كان عملنا مقتصرًا على إضافة بعض العناوين الجانبية، بالإضافة إلى تبويب وترتيب النصوص.

حوزة المصطفى صلى الله عليه وآله
للدراسات الإسلامية التخصصية
التابعة للمجلس الإسلامي العلمائي

all pages.indd 8 2012-02-09 9:59:11 PM

المقدّمة

في الوقت الذي تتكالب فيه الأمم على الأمَّة الإسلاميَّة، وتزداد التَّحدِّيات على هذه الأمَّة، ويسعى الشَّرق والغرب؛ لاستضعافها، وإذلالها، وسرقة خيراتها؛ لكي لا تكون الأمَّة الرَّائدة، والأمَّة المتقدِّمة على غيرها، بل لتكون الأمَّة التَّبَع، والأمَّة المستسلمة، والأمَّة الميتة، تبرز أهمية الالتفات إلى مكامن القوَّة والضَّعف في واقع الأمَّة الإسلاميَّة، فهي بمكامن القوَّة عندها تسمو وتنتصر، وبعوامل الضَّعف في داخلها تنهار، وتنهزم، وتتراجع.

وتبرز وحدة الأمَّة، واجتماع كلمتها كأهم عامل من عوامل القوَّة في داخل الأمَّة متى ما عملت الأمَّة على تحقيقه في داخلها، كما أنَّ تفكُّكها، وتمزُّقها، وتناحر مكوِّناتها يعتبر من أهم عوامل ضعفها، وانهزامها، وسقوطها.

من هنا كانت أهمية الوحدة الإسلاميَّة، والذي يأتي البرنامج السَّنوي للمجلس الإسلاميِّ العلمائيِّ في البحرين، من خلال موسم الوحدة الإسلاميَّة؛ ليمثِّل انطلاقة سنويَّة؛ لتعزيز جوانب التَّقارب، والتَّفاهم والمحبَّة، والتَّآزر في داخل الأمَّة الإسلاميَّة، والوقوف أمام كلِّ عوامل تمزيق الأمَّة، وتفريق شملها.

ويأتي هذا الكتيِّب الذي قامت بإعداده مشكورة لجنة التَّأليف في حوزة المصطفى صلى الله عليه وآله للدِّراسات التَّخصصيَّة في المجلس؛ ليمثِّل مساهمة في برامج هذا الموسم، من خلال تقديم رؤى ناضجة، وأفكار عميقة حول جوانب مهمَّة فيما يرتبط بالوحدة الإسلاميَّة، وكيفيَّة تفعيلها، وتعزيز حضورها في واقع الأمَّة الإسلاميَّة.
والله الموفِّق والهادي إلى سواء السَّبيل.

دائرة الثَّقافة والعلاقات
ربيع الأوَّل ١٤٣٣هـ - فبراير ٢٠١٢ م

all pages.indd 9 2012-02-09 9:59:11 PM

تمهيد

ما أحوج الأمَّة وهي تعيش ذِكرى المولد النَّبويِّ الشَّريف أنْ تتوحَّد، وتتقارب، وتتصافى، وتنزع ما في داخلها من أحقاد، وضغائن، وعداوات.

من أشدِّ عوامل الضَّعف والخواء والهوان الذي يعيشه المسلمون في هذا العصر هو التَّمزُّق والتَّشتُّت والخلاف، أعداء الإسلام، وقوى الاستكبار، مارسوا ولازالوا يمارسون كلَّ الوسائل التي تزرع الفتن، وتؤجِّج الصِّراعات في داخل الشُّعوب الإسلاميَّة، هم يدَّعون أنَّهم يحاربون العنف والتَّطرُّف والإرهاب، في الوقت الذي نجدهم يغذون الصِّراعات الطَّائفيَّة والمذهبيَّة.

ما تشهده مجتمعاتنا هذه الأيام من هوس طائفيٍّ محموم، ومن خطابات واصطفافات طائفيَّة مدمِّرة ليس أمرًا طبيعيًّا، وإذا استمر الأمر في هذا الاتِّجاه، فالخطر قادم لا محال، والفتنة لن تبقي ولن تذر ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً...﴾.[1]

مطلوب من العقلاء والمخلصين أنْ يقفوا في وجه أصوات الفتنة، وإلَّا أحرقت الأخضر واليابس، ودمَّرت البلاد والعباد.

مَن وراء هذه الوريقات التي تقطر فتنة وطائفيَّة، تكفِّر وتسبُّ، وتهدِّد؟!

لا نشكُّ أنَّ وراءها أيدٍ لا تريد الخير لهذه البلاد، ولا تريد لها الأمن والاستقرار.

ما أجمل أنْ ننطلق في ذكرى المولد النَّبويِّ، وفي أسبوع الوحدة؛ لنتداعى من أجل التَّقارب، ومن أجل التَّواصل في ظلِّ راية القرآن، وفي ظلِّ قيادة النَّبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله، وفي ظلِّ شعار التَّوحيد، وفي ظلِّ مبادئ الدِّين، وتعاليمه وقِيَمِه.

١- الأنفال:٢٥.

all pages.indd 10 2012-02-09 9:59:11 PM

مـا أجمـل أنْ ننطلـق في ذكرى المولـد النَّبويِّ، وفي أسبـوع الوحـدة؛ لنتداعى من أجل التَّفاهـم والحـوار مع الآخـر في الدِّين، ومـع الآخر في المذهـب، ومع الآخـر في الرَّأي الثَّقافيِّ، والرَّأي الاجتماعيِّ، والرَّأي السِّياسيِّ.

النِّظـام السِّياسيُّ مُطالَـب أنْ يفتح حوارًا حقيقيًّا مع كلِّ القِوى الفاعلة في السَّاحة؛ من أجل حلحلة كلِّ الأزمات، ومعالجة كلِّ الملفَّات.

القوى السِّياسيَّة، والثَّقافيَّة، والاجتماعية مُطَالبة أنْ تفتح بينها حوارًا حقيقيًّا؛ من أجل لملمة الجهود، وتوحيد الطَّاقات فيما فيه خير هذا الشَّعب.

العلماء سنَّة وشيعة مطالبون أنْ يفتحوا بينهم حوارًا حقيقيًّا؛ من أجل حماية الأمَّة من كلِّ الصِّراعـات الطَّائفيَّـة المدمِّرة؛ ومن أجل مواجهـة كلِّ التَّحدِّيات التي تهدِّد مصير الإسلام، وتهدِّد مقدَّساته، ومبادئه، وقِيَمه.

هذا هو خطاب النَّبيِّ الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في ذكرى مولده، للأمَّة، للحكَّام، للعلماء، للمثقَّفين، للرِّجال، للنِّساء، للشَّباب، للشَّابات، لكلِّ القِوى، فهل نجيب النِّداء؟[٢]

من حديث العلاّمة الغريفي (حفظه الله)

٢- العلامة السيد عبد الله الغريفي (حفظه الله) - حديث الجمعة (١٦٧) - بتاريخ: ٢٠ ربيع الأول ١٤٢٩هـ الموافق:٢٠٠٨/٠٣/٢٨م، المكان: مسجد الإمام الصادق (ع) بالقفول.

all pages.indd 11 2012-02-09 9:59:12 PM

all pages.indd 12

الباب الأوَّل

الوحدة الإسلاميَّة

١

2012-02-09 9:59:12 PM

الوحدة الإسلاميَّة

الوحدة الإسلاميَّة الكبرى

مَـن كان هدفـه الإسلام كانـت الوحدة هدفه؛ فلسـت تجد عالمًا يفهـم الإسلام يأخذ بخيار الفُرقة، ويهمل شأن الوحدة.

ليـس أنَّـه لا يدعو للفرقـة فقط، وإنَّما يكون مـن همَّه دائمًا أنْ يعمـل على الوحدة بين المسلمين، بل إنَّه يستهدف الوحدة الإنسانيَّة الكبرى.

الوحـدة الإسلاميَّـة الكبرى لا لتعـزل باقي البشريَّـة، وتلقي بهم إلى النـار وتجهِّلهم، وتسلبهم وعيهم، وتقتل فيهم طموحاتهم.

الوحـدة الإسلاميَّة الكبرى؛ من أجـل أنْ تتمدَّد، وتتعملق؛ لتكون وحـدة إنسانيَّة كبرى على خطِّ الله ليس فيها ظالم، ولا مظلوم.

هـدف الوحدة علامة الوعي والفهم الحقيقيِّ للإسلام؛ فمن لم يهدف هذا الهدف دلَّ بموقفه على نقص في الوعي والفهم للإسلام ودعوته.

الوحـدة الإسلاميَّـة الكبرى منطلقها الحرص على مصلحة الإسـلام والإخلاص له، وعـدم المتاجرة بـه، مسؤوليَّة علمـاء الدِّين أوَّلًا، ثمّ هـي مسؤوليَّة النخبـة الإسلامية المثقَّفة، على أنَّها مسؤوليَّة أمَّة بكاملها.

والأمَّـة بعمومها ترضى من ساستها اليوم عدم الوقوف مع عدوها في خندق واحد، وأنْ تنسِّـق الأنظمة بينهـا؛ من أجل المصلحة العامَّة، وأنْ لا تكـون عينًا ولا يدًا على بعضها البعض من أجل الأجنبيِّ.

ومن يأتي من عند الأئمَّة عليهم السلام لا يستطيع إلَّا أنْ يُطرح شعار الوحدة، ويخلص له، وأنْ يعيش همَّ المسلمين جميع المسلمين بلا نظر إلى مذهب وآخر.[٣]

٣- آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) - خطبة الجمعة (١٢٧) ٧ شعبان ١٤٢٤هـ- ٣ أكتوبر ٢٠٠٣م.

all pages.indd 13 2012-02-09 9:59:12 PM

الوحدة بين الإلغاء والاحترام

تتكـوَّن الأمم، والـدُّول، والأقطـار في العادة من أكثر من قوميَّـة، أو دين، أو مذهب، أو قبيلـة، أو لغـة، وهي محتاجة للوحـدة أو التَّآلف حتى تنتظم أمـور الحياة فيها وتتقدَّم وترقى، وتكفى النِّزاعات الواسعة الدَّائمة المرهقة والمكلِّفة والمهلكة.

والوحـدة يمكـن أنْ يطلبها الطَّالبون عـن أحد طريقين، ويتصوروا لهـا أحد أساسين: الإلغاء والاحترام.

الإلغاء أساسٌ باطل، وفاسد، وغير منتج.

الإلغاء مقدّمة الافتراق، والبغضاء، والكره، والاحتراب، والفوضى، ودمار الأوطان.

والاحـترام أساسٌ حق، وصالح، ومنتـج، يرسِّخ الأُخوَّات، وينتج السَّلام والأمن، ويوالي بـين الجهود علـى طريق المصلحـة المشتركة، فتجـد السَّواعد كلَّها في جهـد متناسق؛ لإشادة البناء على الأرض، ولصلاح الإنسان.

والاحترام هو احترام كلِّ طرف للطَّرف الآخر، احترامه لإنسانيَّته وكرامته، وهو احترام للخصوصيَّـة القوميَّة والدِّينيَّة والمذهبيَّة واللّغويَّة، واحترام لحقوق المواطنة، ويتمثَّل في المساواة في الحقوق، وفي الاشتراك العمليِّ الحقيقيِّ في الشَّأن العام المشترك.[٤]

ركائز الوحدة

ثـم إنَّـه لا أغنى من هذه الأمَّة في مقوِّمات الوحدة، ولا أكثر تمزُّقًا منها، ولا أشدَّ غَابِيَّة من بعض فئاتها، ذلك لبعدٍ عن دين الله، ولسوء فهمٍ لدين الله.

وللوحدة ركائز منها: ركيزة العقيدة الواحدة، وهذه الأمَّة أمَّة التَّوحيد، والمفروض أنَّها تتَّبـع رسـولًا واحدًا، وكتابًا واحـدًا، وسنَّة نبيٍّ واحد (صلَّى الله عليـه وآله وسلَّم)، وفي ذلك ما يكفي لحفظ وحدتها، ولتقديمها نموذجًا رائعًا على خطِّ الوحدة في هذه الدُّنيا المُقْفِرة.

٤- آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) - خطبة الجمعة (٣٣٣) ٧ رجب ١٤٢٩هـ -١١ يوليو ٢٠٠٨م.

all pages.indd 14 2012-02-09 9:59:12 PM

دواعي الوحدة

ثم إنَّ هناك أسبابًا موضوعيَّة تُحتِّم على هذه الأمَّة أنْ تجتمع كلمتها ولو بالمقدار الذي يحافظ على مصالحها في الدُّنيا، ولا يجعلها نهبًا للأمم الأخرى:

أ- الحاضر والمصير المشترك بخيره وشرِّه

أراد السُّنَّـة والشِّيعـة هذا أو لم يريدوه، فإنَّ حاضرهـم ومصيرهم واحد من ناحية ما يطرأ على هذه الأمَّة من خير وشرٍّ.

إنْ تكـن فتنة، فهي فتنة للجميـع، وإنْ يكن وئام فهو مريح للجميع، وفرصة نموٍّ وتكامل للجميع.

إنْ يكن خير فسيعمُّ، وإنْ يكن شرٌّ فقهرًا سيعمُّ.

مثـل هـذا النَّظـر الموضوعيِّ لا بـدَّ أنْ يوحي بشعور الوحـدة، ولا بـدَّ أنْ يدفع في اتِّجاه الوحدة لو كنَّا على وعي.

ب- توحد الجبهة المعارضة

أعـداء هذه الأمَّة من خارجها لا يستهدفون الشِّيعة دون السُّنَّة، ولا السُّنَّة دون الشِّيعة، وكلَّمـا كانت جبهة معادية واحدة كلَّمـا كان من شأنها أنْ توحِّد المستهدَف، والمستهدَف هو الأمَّة بكاملها ومن عدو شرس، وعدو قادر، وعدو خبيث، فكيف لا تتوحَّد هذه الأمَّة في ظلِّ هذه المعادلة المُهلكة؟!

ج- الواقع المشترك

أنت لماذا تحاربني؟، لتقضي عليَّ؟

أنا لماذا أحاربك؟، لأقضي عليك؟

ايئس من أنْ تقضي عليَّ، ولأكن يائسًا أنا أيضًا من أنْ أكون قادرًا على القضاء عليك.

هذا اليأس المشترك من القضاء على المقابل لا بدَّ أنْ يزهد في المقاتلة.

all pages.indd 15 2012-02-09 9:59:12 PM

لـو نسينا كلَّ مقومات وحدتنا، ونسينا ما يوجبه علينـا ديننا، وتحوَّلنا كلُّنا إلى أشرار، فلنحسـب حسابنا بأنَّك لست قـادرًا على أنْ تقضي عليَّ، ولست قـادرًا على أنْ أقضي عليك، وقد بلغ الكلُّ من التَّجذُّر والقوَّة والقدرة على الإضرار بالآخر بدرجة كافية.

من شأن هذا الواقع أنْ يدفع الجميع إلى التَّراضي، إلى التَّصالح، إلى الوحدة بالمقدار الضروري على الأقل.

د- الإجماع على حرمة بعضنا البعض

ألسنـا نُجمـع بحسب مذاهبنا - إلَّا أنْ يكون هناك مذهـب لا يعرف القرآن، ولا يعرف السُّنَّـة - على صيانة دم المسلم، وعرضـه، وماله؟!، ويكفي في ذلك أنْ ينطق الشَّخص بالشَّهادتين من دون أنْ يظهر منه ما ينقض إسلامه!!

بين الوحدة والشَّتات

دين التَّوحيد ينظر للإنسان بما هو نوع واحد، ويستهدف توحيده على خطِّ اللّه، والدِّين الحـقُّ وحـده من بـين كلِّ الأطروحات هو القادر علـى أنْ يلاقي بـين المصالح الفرديَّة والفئويَّة والوطنيَّة والقوميَّة والإنسانيَّة النَّوعيَّة، ولا متَّسع لشرح الأمر.

على طريق ذلك نحن نجد أنَّ طلب القوَّة في الإسلام لا يكون بسلب الغير واستضعافه، وأنَّ قوَّة الفرد يوظِّفها الإسلام على طريق قوَّة الفئة، وقوَّة الفئة على طريق قوَّة الوطن، وقوَّة الوطن على طريق قوَّة الأمَّة، وقوَّة الأمَّة على طريق قوَّة الإنسانيَّة.

لـو راجعنا الإسـلام مراجعة دقيقة لوجدنا أنَّـه يدفع بالأفراد إلى طلـب القوَّة لا على حساب الآخرين، ولا مفصولًا عن مصلحة الآخرين، ودعم قوتَّهم.

ثـم إذا كان الإسلام يمحور كلَّ حركة الإنسانية حول محور التَّوحيد، فإنَّه إذا تمحورت كلُّ الحركـة حول المحور الواحد الصَّحيح، فلا بدَّ أنْ ينتج ذلك اتِّحاد النَّاس المنشدِّين إلى ذلك المحور.

all pages.indd 16 2012-02-09 9:59:12 PM

لا توحُّد على الباطل

وكما يمنع الإسلام حالة الشَّتات يمنع حالة التَّمحور والتَّوحُّد على الباطل، وأنَّه لا تعاون علـى شرٍّ أو خطـأ ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْـلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُـواْ...﴾[٥]، اعتصام بما به الاعتصام من الخطأ والجهل والظُّلم، ولا اعتصام إلَّا بحبل الله.

يطلب بعضنا من البعض الاتِّحاد، ولكن يسبق كلَّ ذلك سؤالٌ: الاتِّحاد على ماذا؟

الاتِّحاد على أطروحة غربيَّة؟، على أطروحة شرقيَّة؟

أو أنَّ الاتِّحاد الحق، الاتِّحاد المطلوب هو الاتِّحاد الذي يعني الاعتصام بحبل الله؟

فلنتعلَّـم أنَّ الاتِّحاد دائمًا يطلب بأنْ يكون بالاعتصام بحبل الله، ولنتعلَّم ألَّا نغالط من قبل الآخرين بطلب الاتِّحاد بشكل مطلق.

والآية الكريمة الأخرى في شطر منها تقول ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ...﴾.[٦]

إذًا نحـن أمام مطلـب ديني واضح، وهـو أنْ نتَّحد، ويكون هذا الاتِّحـاد خاضعًا لرؤى الدِّين، وأحكام الشَّريعة.

ولا اتِّحاد على الإطلاق على ما فيه منافاة الدِّين، وأحكام الشَّريعة.

فـكلُّ صوت، وكلُّ رايـة تدعو إلى الالتفاف بها، على المسلـم أنْ يتحقَّق من أمرها، أهي رايـة تخضع لشريعـة الله، وتقدِّر أحكامه، وتعـترف بالعبودية لـه، أو تتنكَّر لشيئ من ذلك.

وإذا أراد أنْ يبقى على خطِّ إسلامه، فلا يتبعنَّ أحدًا من غير إذن الله على الإطلاق.[٧]

---

٥ – آل عمران:١٠٣

٦ – المائدة: ٢.

٧– آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) – خطبة الجمعة (٢٢٤) ١٣ ذي القعدة ١٤٢٦هـ –١٦ ديسمبر ٢٠٠٥م.

all pages.indd 17 2012-02-09 9:59:13 PM

ما هو متعلّق الوحدة كما تظنّ؟

أنْ نتحوَّل شيعة كلنا؟!

أنْ نتحوَّل سنَّة كلنا؟!

مطلب ليس دونه خرط القتاد – كما يعبِّر الفقهاء –، وإنَّما دونه حصد الرِّقاب!
لا يمكـن بـأيِّ حال من الأحوال، وتحـت أيِّ ضغط أنْ يتحوَّل العـالم الإسلاميُّ كلُّه إلى شيعة، أو أنْ يتحوَّل إلى سنَّة.
وإذا أردنـا الوحدة على مستـوى تفاصيل العقيدة، فإنَّ الصَّحابة... لم يكونوا على رأيٍ واحد في هذا الأمر، وإذا أردنا وحدة إسلاميَّة على مستوى الفروع الفقهيَّة، فالصَّحابة إذًا لا يشكِّلـون أمَّـة واحدة، والمذاهـب السُّنيَّة الأربعـة لا تشكِّل أمَّـة واحدة، والمذهب الشِّيعي نفسه في اجتهاداته المختلفة لا يشكِّل أمَّة واحدة.

إمَّـا أنْ نقبـل بأنَّنا كنَّا ونحن في أحضـان الإسلام بعد حياة الرِّسـول (صلَّى الله عليه وآله) أممًا، وبقينا أممًا، وسنبقى أممًا، وذلك للاختلاف الفقهيِّ، وفي بعض تفاصيل العقيـدة، وفي دقَّة الرُّؤية التَّوحيديَّة، وعدم دقَّتها، وأنَّ علينا أنْ يحصد أحدنا الطَّرف الآخر إلى آخر واحد.

وإمَّـا بـأنْ نقول بـأنَّ كلَّ هذه الاختلافـات لم تعدِّد الأمَّـة في ماضيهـا، ولا تعدِّدها في حاضرها ومستقبلها، والأمر كذلك.

إنَّنـا أمَّة واحدة عقيـدة وفقهًا، والاختلاف في بعض دقائق العقيدة، والفروع الفقهيَّة لا يقسِّمنا إلى أمَّتين، أو أمم.

الموحِّدون الشِّيعة ليسوا على فهم واحد للتَّوحيد، والموحِّدون السُّنَّة ليسوا على فهم واحد للتَّوحيد، فإذا كان التَّفاوت في دقَّة الفهم لقضية التَّوحيد مقسّمًا إلى أمم، فنحن لسنا أمَّتين فقط، وإنَّما أمم متكثِّرة.

all pages.indd 18 2012-02-09 9:59:13 PM

وقد سبق أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مسلم وهو على توحيده أكملِ توحيد، وأنَّ الأعرابي الذي آمن بالأمس أو اليوم مسلم وهو على ما هو عليه من توحيد ضبابي غائم، وذلك من ناحية الحقوق العامَّة الدُّنيويَّة للمسلم على أخيه المسلم.

وإذا كانت العقيدة لا يمكن أنْ نتوحَّد عليها بمالها من دقَّة بالغة، فهناك قضايا كثيرة جدًّا يمكن أنْ نتوَّحد عليها، ويجب أنْ نتوَّحد عليها.

الحفاظ على الأمن الوطني لكلِّ بلد من بلدان الإسلام، قضيَّة تهمُّ الجميع، وفقدها يضرُّ بالجميع، ولا أمر يقتضي الاختلاف في الحِفاظ على هذه القضيَّة.

إقامة العدل في أرض الإسلام، والأخذ بالمساواة في الحقوق والواجبات، المساواة بمعناها الدَّقيق، وليس بمعناها السَّطحي السَّاذج، إقامة العدل في أرض الإسلام، الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، مواجهة الظُّلم والفوضى من أيِّ مصدر كان من حاكم أو محكوم، من سنِّيٍّ أو شيعيٍّ. هذا كلُّه يمكن أنْ نتوحَّد عليه.

حماية الدِّين والأمَّة من الأجنبي أمر يهمُّ الجميع، وغيابه يضرُّ بالجميع، ولا عائق إذا أنصفنا يعيق عن الأخذ بالوحدة في هذا المجال.

التَّقدُّم بمستوى الأمَّة وأوطانها، وحلُّ مشكلات الجهل والفقر والمرض إلى آخر المشكلات، وهي مشكلات تضايق الجميع، وتضرُّ بالجميع، من مسؤوليَّة الجميع، والتَّوحد عليها لا يقف أمامه عائق.

تبليغ الإسلام في خطوطه العامَّة، وكذلك أنْ تبلِّغ الإسلام كما تفهم، وأُبلِّغ الإسلام كما أفهم، تبليغي وتبليغك يخدمان الإسلام العام، ويُقلِّلان من موجات الكفر وامتداداتها في البلاد الإسلاميَّة على الأقل.[٨]

٨- آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) - خطبة الجمعة (٢٦٩) ٦ محرم الحرام ١٤٢٨هـ -٢٦ يناير ٢٠٠٧م.

all pages.indd 19 2012-02-09 9:59:13 PM

ما هي الأمَّة المسلمة المؤمنة؟

أهي خصوص أهل المذهب الجعفري؟
أهي خصوص أهل المذهب الحنبلي؟
أهي خصوص أهل المذهب المالكي؟
غيرهم؟، أم هي أوسع من ذلك؟

الأمَّــة التي خُوطبت بالوحدة، وخوطبت بالتَّعــاون على الخير، وخوطبت بحقن الدِّماء، وحفظ الأعراض والأموال، فكان ذلك مسؤوليَّة ملقاة على عاتقها، ما هي هذه الأمَّة؟ قــل عني بحكمك الذي لا نفاذ له أنِّي مذهبي من أهل النَّار، ولكن أبقى مع ذلك واحدًا من الأمَّة الإسلاميَّة التي عليك أنْ تراعي حقوقها العامَّة ما دمت على شهادة أنْ لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّــدًا عبده ورسوله، وليس كلٌّ من فسق أو أخطأ تسقط حقوقه، ويخرج عن الإسلام.

نقرأ على مستوى القرآن الكريم، هذا الخطاب للمؤمنين، للأمَّة المؤمنة: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِــنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّــى تَفِــيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِن فَــاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَــا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُــوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ❖ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.[٩] فئتان تتقاتلان بالسَّيف في العراق، فئتان تقاتلتا بالسَّيف: فئة علي عليه السلام، وفئة معاوية، علــيٌّ إمام الحــق المعصوم، ومعاوية الباغــي، الخارج عن الحقِّ، لكــنَّ الفئتين في نظر الإسلام مسلمتان علــى مستوى وجوب حفظ الدَّم، وجوب حفظ العِرض، وجوب حفظ المال خارج التَّقاتل الذي تسبَّب إليه الباغي، وبدأ به.

الآيــة الثانية: ﴿وَاعْتَصِمُــواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًــا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَــةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ

٩- الحجرات:٩-١٠.

all pages.indd 20 2012-02-09 9:59:13 PM

فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.[١٠]
وفي خطاب آخر للذين آمنوا: ﴿... وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ...﴾.[١١]

الآية الأولى تُخاطب المؤمنين في قبال أهل الكتاب، فالناس فيهم فريقان: فريق أهل الكتاب، وفريق المؤمنين الذين تأمرهم بالاعتصام بحبل الله وعدم التَّفرُّق، فهي تتحدَّث عن أمَّة التَّوحيد بالصُّورة الإجماليَّة، وتشمل هذه الأمَّة أصحاب الآراء المتباينة، والمذاهب الفقهيَّة المختلفة، وحتى أصحاب الخلافات التَّفصيلية في العقيدة التي لا تخرج بالقضية عن التوحيد بصورة عامَّة، وعن الإيمان بالرِّسالة والرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

الأمَّة التي خُوطبت بأنَّها أمَّة مسلمة ومؤمنة كانت تختلف في تصوُّرها للتَّوحيد، كان تؤمن بوحدانيَّة الله على وجه الإجمال.

أمَّا معنى التَّوحيد، فيختلف في أذهانها اختلافًا كبيرًا جدًّا، وما كان يمكن أنْ يساوي التَّوحيد في صورته في نفس أعرابي أسلم اليوم مع صورة التَّوحيد في ذهن عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، في ذهن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، لكنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مسلم، وذلك الأعرابي الذي أسلم اللَّحظة مسلم من ناحية الحقوق الدُّنيويَّة العامَّة المترتِّبة على أصل الإسلام.

وكم كان يختلف الناس في فهم الحديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فيختلف بذلك فهم الحكم الشَّرعيِّ عندهم، والنَّاس في زمن الخلافة بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كانوا على مذاهب في تفاصيل العقيدة، وكانوا على مذاهب في الفقه، وكانوا كلُّهم أمَّة مسلمة مؤمنة من ناحية الحقوق المذكورة، ومن ناحية المصلحة المشتركة، ومن ناحية الواجبات الملقاة على عاتق الأمَّة في حماية الإسلام والذَّرء عنه، والحفاظ على مصالحه، والتَّقدُّم

١٠ - آل عمران:١٠٣
١١- المائدة:٢.

all pages.indd 21 2012-02-09 9:59:13 PM

بالأمَّـة المؤمنـة، وفي اعتبار القرآن، وفي اعتبار السُّنَّـة أنَّ كلَّ هذه المستويات الإيمانيَّة، وأصحـاب هذا المحيـط الواسع بما فيه من اختلافات، وبما فيه مـن رؤى تفصيليَّة قد تكـون متعارضة يشكِّلون الأمَّة المؤمنة بالإيمان العـامِّ، والمخاطبة بحقوق ثابتة على كلِّ عضو عضو بالنِّسبة للآخرين في هذه الأمَّة.

أقـول لكـم إخوتي: إنَّ الفريقين اللَّذين تقاتلا في صفين هـم - في الإسلام - مسلمون، وأنَّ الفريقـين اللَّذيـن تقاتلا في الجمل هم - في الإسـلام، وفي نظر القائد المعصوم- مسلمون.

نعم، هناك إمام حقٍّ، وإمام باطل.

هناك أصحاب شرعيَّة، وهناك طغاة بغاة خارجون على الإمام الحقِّ بغير حقٍّ.

علـى مستوى الحديـث: في الموثّقة في سند صحيح إلى ما قبـل سماعة الرَّاوي: عن أبي عبـد الله عليه السلام - وهو الإمـام جعفر الصَّادق عليه السلام -: «الإسلام شهـادة أنْ لا إله إلَّا الله، والتَّصديـق برسـول الله صلى الله عليه وآله، به - أي بهذا الإسلام - حُقنـت الدِّماء، وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلى ظاهره جماعة الناس».[١٢]

جماعة النَّاس الذين يُطلق عليهم أنَّهم مسلمون، كلُّ أولئك النَّاس.

الإسـلام درجات، وكذلك الإيمان درجات، هناك إيمان عـام، وإيمان خاص، ونحن لا نتحدث عن المراتب العليا للإيمان والإسلام، إنَّما نتحدَّث عن مرتبة من الإسلام يكون لي عليـك بها حقٌّ، ويكون لك بها عليَّ حقٌّ، من أظهر هذا الحق حفظ الدِّماء والنفوس والأعراض، وأنَّ علينا أن نتحدَ، وعلينـا أن نتناصر ونتعاون في الحقِّ، وعلينا أن نرتفع بمستـوى الأمَّة، ونرعى مصالحها، وأنْ لا نبنـي مصالح دنيويَّة لهذه الفئة على حساب الفئة الأخرى تنقض حقَّها، وتضعف عموم الأمَّة.

وفي صحيحـة حمران بن أعين، عـن الإمام أبي جعفر بن محمَّد علـي الباقر عليه السلام أنَّه

١٢- الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ ص ٢٥ - تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري- الطبعة: الرابعة - سنة الطبع : ١٣٦٥ ش- المطبعة : حيدري- الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران.

all pages.indd 22 2012-02-09 9:59:13 PM

قـال: «الإسلام ما ظهر من قول، أو فعل، وهو الذي عليه جماعة الناس من الفرق كلّها - مـا أكثر الفرق يوم أبـي عبد الله عليه السلام - ، وبه حقنت الدِّماء، وعليه جرت المواريث، وجاز النِّـكاح، واجتمعوا على الصَّلاة، والزَّكاة، والصَّـوم، والحج، فخرجوا بذلك من الكفر، وأُضيفوا إلى الإيمان».[١٢]

هـذا هو الإيمان العام، هذه هي الأمَّة المؤمنـة في المعنى العام للإيمان، ويبقى التَّفاوت داخـل المؤمنين واسعًا جـدًّا، فمن إيمان إنسان يفسق في كثير مـن أحكام الإسلام إلى إيمـان النَّبيِّ صلى الله عليه وآله ، لكن يبقى الاثنان داخلـين في الأمَّة المؤمنة، المسلمة بالمعنى العام للإسلام والإيمان، وقد عدَّد الحديث الأخير بعضًا من العلاقات الشَّرعيَّة القائمة بين المؤمنين بهذا المعنى، وبعض الحقوق.

في ضـوء النُّصوص السَّابقة يمكن لنـا أنْ نقول بأنَّ الوحدة الإسلاميـة واجبة شرعًا، وبكلِّ وضـوح واطمئنان، ومن ناحية عقليَّة، فإنَّ حفـظ مصلحة الإسلام، وحفظ كيان الأمَّـة، والرقيَّ بمستوى الأمَّة، والتَّقدُّم بها، وصـون الإسلام من العدوان الخارجي كلُّ ذلك واجب شرعي، وهو متوقّف على وحدتها، فتكون الوحدة واجبًا في العقل.
ثمّ توجد الضَّرورة العمليَّة.

هناك عدوان شرس على الأمَّة بكلِّ مذاهبها، هناك عمليَّة سحق خارجي، هناك عمليَّة تصفيـة، محو لوجود هذه الأمَّة، استيلاء عليها، استعباد، سلب لحرِّيتها، هذا العدوان الشَّرسـ، وهذه الهجمـة الظَّالمة لا يردعها شيـئ كما هي الوحـدة، فالضَّرورة قاضية بالوحدة بين المسلمين.
هـذا كلام فيما هو الواجب، أمَّا في ما هو الواقع فتصوّرًا يمكن للأمَّة أن تكون متّحدة، ويمكـن لهـا أنْ تكون مفترقـة، ويمكن لها أن تكـون محتربة، والاتِّحاد قـوَّة، والافتراق ضعف، أمّضا الاحتراب فانتحار.

١٢- نفس المصدر/ ص٢٦.

all pages.indd 23 2012-02-09 9:59:14 PM

وإذا كان هذا هو التَّصوُّر، فإنَّ واقع الأمَّة خارجًا بين أمرين: بين الافتراق، والاحتراب. الافـتراق كاد يكون مستوليًا على السَّاحـة بكاملها، الافتراق على أساس المذهب، وعلى أساس القوميَّة، وعلى أساس الطبقة، وعلى أساس حاكمين ومحكومين كاد أنْ يستولي على السَّاحة الإسلاميَّة بكاملها.

والاحـتراب بدأ ينشط، ويتحول إلى ظاهرة ممتدَّة، تتمدَّد، وتتوسَّع؛ لتستوعب المساحة الكبرى من واقع المسلمين، وحياة المسلمين، هذا هو الواقع.

ما الأسباب؟

١- فتح باب الاجتهاد على مصراعيه

يظهر لي أنَّ من أقوى الأسباب لهذا الواقع المرير المهترئ والمستعر والمدمِّر هو فتح باب الاجتهـاد بصورة مبتسـرة، ووجود اجتهادات قاصرة ومجتهديـن صغار كُثُر، والإخوة السُّنَّـة الذيـن كانوا يسـدُّون باب الاجتهاد أصبـح باب الاجتهاد عندهـم مفتوحًا على مستـوى طالـب جامعي، على مستوى إنسان غيور عن الدِّيـن ليست له أية عقليَّة فقهيَّة تؤهِّلـه للاجتهاد، صار الاجتهـاد من ناحية عمليَّة حقًّا حتـى للمثقَّفين العاديين، وهذا منتشر عند الإخوة السُّنَّة، وقد يمتدُّ إلى المحيط الشِّيعي.

٢- قصر النَّظر العمليِّ الموضوعيِّ

هنـاك مَـن يحمل شيئًا من الفقـه، أو يعطي لنفسه حقَّ الاجتهاد مـن غير أنْ تكون له بصيرة عمليَّة، ولا يعرف تشابكات الواقع، وما تنتجه فتاواه من مخاطر مدمِّرة.

٣-التَّربية السَّيئة

ولا بدَّ أنْ ندخل في حسابنا هنا التربية السيئة.

٤- المصالح السِّياسيَّة

أصحاب المصالح السياسية التي يذهب بهم الجشع والطمع والدنيوية إلى حد التضحية

all pages.indd 24 2012-02-09 9:59:14 PM

بالأمَّـة، وبـكلِّ مقدّس وبكلِّ غالٍ عليها حفاظًا على مصالحهـم السِّياسيَّة والماديَّة، وما أكثر حكومات العالم العربي والإسلامي من هذا النوع في هذا اليوم!!

٥- الأُجَرَاء للأجنبي

العملاء الأجراء للأجنبي على مستوى الأفراد، والمؤسَّسات، والحكومات.

٦- الدَّور التَّخريبي الأجنبي

الـدَّور التَّخريبيُّ المباشر للأجنبيِّ، وهيمنتـه السِّياسيَّة على البلاد الإسلاميَّة، وقدرته على فرض آرائه وسياسته على هذه الحكومة، وتلك الحكومة.[١٤]

إلى متى؟، ولماذا الجدار السَّميك العازل؟!

أ- أمَّا لماذا؛ فلفهم سيِّئ من بعض كلِّ مذهب لمذهبهم.

هناك سنَّة لا يعرفون مقتضى مذهبهم!

وهناك شيعة لا يعرفون مقتضى مذهبهم!

هؤلاء لا يعرفون حرص مذهبهم على وحدة المسلمين، وأولئك لا يعرفون حرص مذهبهم على وحدة المسلمين.

ب- يُضاف إلى ذلك التَّربية المتعصِّبة: مِن عالم جاهل، ومن عجوز على سذاجة، ومن فئات ضالَّة.

ج- المصالح المرتبطة بالإثارات المذهبيَّة: لزعيم شعبي، أو لعالم، أو لغيرهما.

د- ضعف الفهم السياسي: وإنَّنا لا نعرف ماذا يريد بنا عدوُّنا، وماذا يكيد لنا عدوُّنا.

ه- المواقـف السِّياسيَّة غير العادلـة لبعض الحكومات التي تكـوِّن شعوبها من أكثر من مذهب.

١٤- آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) - خطبة الجمعة (٢٦٨) ٢٩ ذي الحجة ١٤٢٧هـ - ١٩ يناير ٢٠٠٧م.

all pages.indd 25 2012-02-09 9:59:14 PM

هذه المواقف السِّياسيَّة غير العادلة تستثير المظلوم على المُدلَّل.

إذا كان أتبـاع مذهب يُدلِّلون، وأتباع مذهب آخر يظلمـون، فهذا الواقع بنفسه يستثير أهل مذهب على مذهب وإنْ كان ليس لهم شأن في ذلك.

و- سياسـة التَّحريض التـي قـد تحتاجها بعض الحكومـات، التَّحريض الإعلامي، والتَّحريض المكشوف وغير المكشوف، والتَّخويف، والتَّرعيب.

ز- كون الأمَّة محكومة لأعدائها الأجانب ممَّا يسهِّل عليهم إحداث الفرقة، وتحذيرها.

ح- عدم أخذ الوحدويِّين الأمر على محمل الجدِّ إلى الحدِّ المطلوب.

ط- التَّمزُّق السِّياسي الرَّسمي للأمَّة المؤدِّي إلى تمزُّق اقتصاديٍّ، واجتماعيٍّ، وسياسيٍّ في الشُّعوب.

هنـاك تمزُّقات مذهبيَّـة وتمزُّقات قوميَّة فعليَّة، والتَّمزُّق المذهبـيُّ غير أصل المذهبيَّة، والتَّمزُّق القومي غير أصل القوميَّة.

هنـاك تمزُّقـات مذهبيَّـة، وتمزُّقـات اجتماعيَّة، وتمزُّقـات قوميَّـة مبعثهـا التَّعدُّديَّة السِّياسية في الدول.

من المسؤول؟

المسؤوليَّة الأشد تقع على عاتق العلماء المعتدلين، والتَّصحيح يجب أن يبدأ منهم.

مقترحات للوحدة الإسلاميَّة

تقدم بعض اقتراحات خفيفة في هذا الشَّأن منها:

١- زيارات العلماء لبعضهم البعض، وكذلك الرموز السِّياسيَّة من مختلف الطَّوائف.

٢- ندوات ومواسم ثقافية.

٣- مؤسَّسات اجتماعيَّة، وثقافيَّة، وماليَّة مشتركة.

٤- ونداءات موحِّدة.

all pages.indd 26 2012-02-09 9:59:14 PM

٥- إذا لم نستطع أن نوحِّد صفوفنا، ونكون أمَّة واحدة لا أقل من أدب الخطاب، والكف عن لغة الشتم، وإيقاف نزيف الدم، وتعايش سلمي.

٦- والمواجهة السريعة للحالة المتدهورة تتطلَّب إنكار أهل كلِّ مذهب على أهل مذهبهم منكرَهم وبشاعاتهم، وفتاوى محرِّمة بحق الإرهاب تخرج من أهل كل مذهب؛ لتخاطب أهل مذهبهم.[١٥]

١٥- آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) - خطبة الجمعة (١٩٧) ٢٠ ربيع الأول ١٤٢٦هـ -٢٩ أبريل ٢٠٠٥م.

all pages.indd 27 2012-02-09 9:59:14 PM

all pages.indd 28

الباب الثَّاني

الوحدة الإسلاميَّة والوطنيَّة

٨

2012-02-09 9:59:14 PM

الوحدة الإسلاميَّة والوطنيَّة

ومـا يعرفه المسلمون من الإسـلام أنَّه قد أمر بالتعاون على الـبرِّ والتَّقوى، ونهى عن التعـاون علـى الإثم والعدوان، يقـول الكتاب الكـريم في سياق خطابـه للذين آمنوا: ﴿... وَتَعَاوَنُـواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْـوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُـدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيـدُالْعِقَـابِ﴾.[١٦]

وكلُّ مشـروع يُقسِّـم المسلمين إلى قسمـين في الوطن الواحد، والأرض الواحدة؛ ليثير هذا ضدَّ ذاك، ومـن أجل الكيد به وإضعافه، ومناهضة حقّه، ولتهميشه، والنيل منه، وإقصائـه بظلـم، فإنّما هو مـن التَّعاون على الإثم والعدوان الـذي لا ينبغي لمؤمن أن يأخذ به.

يقول المشروع الرّسمي الذي يعتمدُ القهرَ والإكراهَ، وإلغاء حقِّ الآخر[١٧]، ورأيهِ المذهبي بأنّ الخلفية لهذا التحرُّك هو توحيد المسلمين في الوطن الواحد.

وكلُّ العقـلاء يدركـون أنَّ هذا هـو السحقُ والمحـق والإلغاء للآخر وتصفيتـه، وأنّ من مسؤوليـة الحكومـات الثّابتـة في العالم اليوم هـي المساواة بـين المواطنين من مختلف المذاهـب في الحقـوق السياسيّـة، والخدميَّـة، والثَّقافيَّـة، وغيرها، وحمايـة الحريّات الدينيَّة والمذهبيَّة.

١٦- المائدة:٢.

١٧- ولو في مثل التقويم القمري.

all pages.indd 29 2012-02-09 9:59:14 PM

إنَّ أبعـد ما يمكن أن يُوحِّد فئـات الشعب على ما فيه صلاح الجميع هي روح استئصال الآخر، وضربه في دينه ومذهبه.[١٨]

وبشـأن الخطـاب التحريضـي الذي يريد أن يحـرق الأمَّةَ من منطلـق الطائفيَّة، أو ما يشبهه سواء جاء شيعيًّا أو سنيًّا يطلب من كلِّ الشعوب الإسلامية، وشبابها الغيور على الإسلام، والأمَّة أن يكون أذكى من أنْ يَجرَّه هذا الخطاب الفتنةُ الآثمُ إلى حالة افتراق عمليَّة، فضلًا عن فتنة عمياء طاحنة تُدمِّر الأخضرَ واليابس في محيط الأمَّة، ولا تُبقي لهـا دينًا أو دنيا كمـا يشتهي أصحاب ذلك الخطاب المقيـت، ويُخطِّطون له، أو يسعون إليه عُمْيًا عن جهل، وغباءٍ، وبلاهة، وضلالٍ كبير.

ويذكـر أنَّه قـد أنكر من المسلمـين على الحاخام اليهودي الـذي ظهرت فتواه الأخـيرة بإباحة قتل الشيوخ والأطفال المدنيين من المسلمين وغير المسلمين في عددٍ من الحالات، وقد حقّ النّكير!

ولكـن ماذا يقـول المنكرون عن الفتاوى المتتابعة التي تُكفِّـر طائفة كبيرة من المسلمين، وتُبيـح دماءهم بلا حساب، وهي دمـاء موحِّدين لا يُشركون بالله شيئًا، ولا يعبدون من دونه أحدًا، ويُجاهدون في سبيله، ويوالون من والاه، ويُعادون من عداه؟
ألا تحتاج هذه الفتاوى إلى إنكارٍ وإدانةٍ من كلِّ كبير وصغير من أبناء هذه الأمَّة؟![١٩]

وحدة الوطن والأمَّة

يـوم وحدة الأمَّة الإسلاميَّة هو يوم وحدة العـالم، لأنَّها لو توحَّدت على أساس الإسلام لتمَّ سبب توحيد العالم على هدى الله، ودينه القويم.

١٨- تكبّلني، وتلغيني، وتصفّيني، وتقول لي: هذا هو طريق الوحدة؟!
١٩- آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) - خطبة الجمعة (٣٨٩) ٢٤ ذو القعدة ١٤٣٠هـ - ١٣ نوفمبر٢٠٠٩م.

all pages.indd 30 2012-02-09 9:59:15 PM

وليس من بعد التوحُّد على دين الله مطلب يُطلب لوحدة هذا العالم، ولن تتوحَّد هذه الأمَّة بحقٍّ بلا عودة جادَّة للإسلام تكون بها الكلمة له في كلِّ أوضاعها، وقضاياها.

أمَّا اليوم والأمَّة تفارق الإسلام في كثير من دروب الحياة، فوحدتها الحقيقيَّة ضربٌ من ضروب الخيال، ولكن وقد أصبحت وحدتها بتضييع دينها، وتحكيم أعدائها في أمرها، وتبعية الكثير الكثير من أنظمتها لإرادة العدو مستحيلة، فلا أقل من أنْ تدرك ضرورة التَّعايش السِّلمي في داخلها، والحفاظ على الحدِّ الأدنى من مقوِّمات وجودها. وإذا نسيَ الإرهاب الهمجي من بعض فئاتها حرمة الدِّماء، والأعراض، والأموال، وحلَّ الاستخفافُ والجرأة على هذه المقدّرات محلَّ الحرمة، فلا أقل من ذوق إنسانيٍّ وحضاريٍّ يُخفِّف من هذا الإسراف، والولوغ في انتهاك الحرمات، ولا أقل من إدراك موضوعيٍّ لما سينجرّ إليه الوضع إذا عمَّت العدوانيَّة الهمجيَّة، وتحوَّلت إلى سياسة عمليَّة عند كلِّ الأطراف من طوائف، وقوميات، وأحزاب، وقبائل، وطبقات، وفئات مختلفة.

وإنَّ علماء الدِّين الواعين لحريصون كلَّ الحرص على وحدة الأمَّة، وطلب الأسباب المؤدِّية لها، ورفع العوائق التي تحول دونها، ومن هذا المنطلق لا يمكن لهم أنْ يجاروا أيَّ سياسة في ما قد ترغبه ممَّا يمزِّق شمل الأمَّة، ويقطِّع أوصالها دينيًّا وثقافيًّا، ويخلق الغربة بين أقطارها، ويؤصِّل حالة القطيعة القائمة فعلًا بينها.

أمَّا المخاوف السِّياسيَّة التي قد تراود بعض الأنظمة الرَّسميَّة من بعضها الآخر، فالعلماء لا يساعدون على تغذيتها، وينأون بأنفسهم عن مسبِّباتها، والدُّخول في أجوائها.[٢٠]

٢٠- آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) - خطبة الجمعة (١٩٨) ٢٧ ربيع الأول ١٤٢٦هـ - ٦ مايو ٢٠٠٥م.

all pages.indd 31 2012-02-09 9:59:15 PM

هل العلاقة بين الوحدة الوطنيَّة ووحدة الأمَّة علاقة انسجام؟، أو علاقة تهافت وتعارض؟

هل حفاظي على أمن البحرين فيه تهافت مع حفاظي على أمن الأمَّة؟!
اعتزازي بالبحرين فيه تهافت مع اعتزازي بالأمَّة؟!
ولائي للبحرين بالمعنى الذي يرضاه الله يتهافت مع ولائي للأمَّة؟!
أمَّ أنَّ العلاقة بين كلٍّ ذلك هي علاقة توافق وانسجام؟

حين نأخذ الولاء، والمصلحة، والنُّصرة إلى آخر هذه الأمور بالمعنى الإسلاميِّ، فلا تهافت، وحين نأخذها بالمعنى الجاهلي، فالمسألة تؤول إلى التهافت.
ونحن مسلمون، وعلينا أنْ نأخذ الأمور بمالها من معنى في الإسلام.

قوَّة الأمَّة في وطنها الكبير من قوَّة الأمَّة في أوطانها الصَّغيرة، كما أنَّ مِصر ملك الإسلام، فالبحرين ملك الإسلام، وكما أنَّ تركيا ملك الإسلام، فعمان مثلًا ملك الإسلام، وعزَّة الأمَّة مترابطة، وانتصارها مترابط، والعكس مترابط، فكلَّما عزَّ وطن من هذه الأوطان، وكلَّما نهض وطن من هذه الأوطان، كلما حقَّق نصرًا كلَّما كان ذلك يصبُّ في صالح الوطن الكبير، والعكس بالعكس.

نقطة أخرى في هذا المجال، وهي التَّعدُّديَّة على مستوى الإسلاميِّين، والآخر في الوطن الواحد من بلاد الإسلام، وعلى مستوى الأمَّة، وعلاقة ذلك بالوحدة والفرقة.
في البحرين توجد قوى إسلاميَّة، وتوجد قوى غير إسلاميَّة، يوجد مسلمون، ويوجد نصارى ويهود، فكيف تكون الوحدة الوطنية في ظلِّ الإسلام؟
صدر الإسلام لا يضيق بخير على الإطلاق.
إذا كانت الوحدة على شرٍّ، فالمسلم لا يدخل فيها طرفًا سواء كان الطرف الآخر مسلمًا

all pages.indd 32 2012-02-09 9:59:15 PM

أو غـير مسلـم، وإذا كانت الوحدة على هدى وخير، وفيهـا صلاح الإنسان، وكل صلاح للإنســان فيه رضًا الله (عزَّ وجلَّ)، فهذه الوحدة يبادر إليها المسلم سواء كان الطرف الآخر مسلمًا أو غير مسلم.

إقامـة الحـقِّ والعدل في الأرض، العدل في الحقـوق والواجبـات، مناهضة الانحراف الخلقي، والانحطاط الإنساني يدخل فيه المسلم أيًّا كان الطرف الآخر.

فنحـن من منطلق الإسلام مستعـدون دائمًا للوحدة حتى مع غير المسلم فيما هو خير، فيما هو صلاح، لأنَّ في ذلك مرضاة الله تبارك وتعالى.[٢١]

٢١- آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) - خطبة الجمعة (٢٦٩) ٦ محرم الحرام ١٤٢٨هـ -٢٦ يناير ٢٠٠٧م.

all pages.indd 33 2012-02-09 9:59:15 PM

all pages.indd 34

الباب الثَّالث

٣

المسلمون بين الوحدويِّين والتَّكفيريِّين

2012-02-09 9:59:15 PM

المسلمون بين الوحدويِّين والتَّكفيريِّين

الإمام الخميني وأسبوع الوحدة

أمَّا عن أسبوع الوحدة، فهو أسبوع من ابتكار أفكار القائد العظيم الزَّعيم العالمي المبارك روح الله الخميني قدس سره، ورفع الله درجته في الجِنان، وقد انطلق من روح إسلاميَّة صادقة وشفافيَّة روحيَّة راقية.. انطلق كلمةً من كلمات مدرسة أهل البيت عليهم السلام التي كانت من الله (عزَّ وجلَّ)؛ لتوحيد البشرية كافَّة، وستتوحد البشرية في يوم من الأيَّام، ويوم الظهور المرتقب على يد القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف.

إنَّها دعوة صادقة جاءت من سليل الرسالة، ومن ابن أو حفيد من أحفاد رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لتؤكِّد على نصاعة هذه المدرسة، وقدسيَّتها، وحرصها على المصلحة الإسلاميَّة والإنسانيَّة كلها؛ لتؤكِّد على الإخلاص، وعلى الوفاء لهذه الأمَّة؛ ولتؤكد على الكفاءة على إنقاذ الأمَّة، كما سيتحقق في اليوم القريب الذي نأمل قربه من الله.

أسبوع الوحدة يخاطب فكر الأمَّة، يخاطب شعورها، يخاطب واقعها بأنْ يعيش كلٌّ ذلك منها نقله جريئة، ويثور على نفسه ثورة جادَّة، فيتحوَّل الواقع بعد تحول الفكر، وتحول الشعور، وقد يتحول الواقع قبل ذلك بدفع من الضرورة لكن لا بدَّ أن ينتهي إلى تحول الفكر، وتحول الشعور في اتجاه صالح الوحدة الإسلامية الكبرى المباركة، وليس من مخلص واع في أرض الإسلام إلَّا ويمد يدَّ المصافحة والمبايعة لمثل هذا النداء المبارك الميمون الذي أطلقته حنجرة من حناجر الإيمان، وحناجر التَّقوى، حنجرة روح الله الخميني (أعلى الله مقامه، ورفع درجته في الجِنان).

all pages.indd 35 2012-02-09 9:59:15 PM

ولقـد كان مجيئه رضي الله عنه ؛ ليذكِّـر بقيادة أهل البيت عليهم السلام ؛ ليذكِّـر بعد طول الفترة، وبعد نسيان القدوة، وبعد الغياب غياب المنارات المشعَّة عن واقع الفعل العملي المتحرك على الأرض.

جـاء ليذكِّـر بأصالـة مدرسـة أهل البيـت عليهم السلام ، وبما ينبغـي أن تكون عليـه القيادة الإسلامية، قيادة الأمَّة الوسط، قيادة الأمَّة الرَّائدة التي لها الوصاية على بقيَّة الأمم، وصايـة التَّرشيـد، ووصاية الهداية، ووصايـة التَّربية والتَّعليم، ووصايـة إقامة العدل، ونشر روح الإحسان.

جـاء رضي الله عنه ؛ ليقيـم حجَّته على الناس من جديد من خلال نمـوذج أصغر من نموذج المعصوم؛ ليذكِّر بعظمة المعصوم، وقدرة المعصوم على الإنقاذ الكامل الشامل، ومجيئه لكأنـه تمهيـد لمجيئ الإمام القائـم عجل الله تعالى فرجه الشريف، ولأن يقع حجَّة من حجـج القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف يوم ظهوره.

تـوفي (رحمه الله، وأعلى الله مقامه)، فترك كلمة ليست الكلمة التي يعبِّر عنها كثيرًا عند موت أيِّ عالم، إنما هي الكلمة الملحوظة الكبيرة، والهوَّة السَّاحقة، والخندق الكبير الفارغ ... والزمن - من خلال قدرة الله، ومن خلال رحمة الله بهذه الأمَّة - كفيل بأنْ يعطي رجالًا ورجالًا من أبناء هذه الأمَّة يملؤون هذه الفراغات، والموقع قد يفتقد الرجل الواحد، فلا يملؤه إلَّا عدد من الرجال.

الرَّجل الواحد قد يكون أمَّة، وأمَّة كبيرة يحتاج ملء موقعه الفارغ إلى عدد هم أمَّة.
أيُّهـا الإخـوة، وسيبقى موقع القيادة يشكـو من نقص، من نقصـ جزئي، ومن نقص ملحـوظ حتـى يأتي صاحبه الأصل الإمام القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف، فلا يبقى فيه نقص، وتكون به الأمَّة أعزُّ الأمم، ورائدة الأمم على مستوى الفعل.[٢٢]

٢٢- آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) - خطبة الجمعة (١٠) بتاريخ١٥ ربيع الأول ١٤٢٢هـ.

all pages.indd 36 2012-02-09 9:59:15 PM

تكفير المسلمين مهلكة

الحكـم بالإسلام، أو بالكفر من أخطـر أحكام الدِّين، وهما حكمان موضوعهما واضح جدًّا في الكتاب والسُّنَّة، والحكم على أيِّ أحد بالكفر من أكبر العدوان إذا تجاوز مقياس كتاب الله، وسنَّة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وهو جاهليَّة، وفتنة كبرى.

أمَّـا أنْ يحكم أحد النَّاس من موقع ديني رسمي كبير على ملايين المسلمين بالكفر على مسمـع من العـالم كلِّه فضلًا عن جميـع المسلمين، فهو فتحُ باب شـرٍّ عظيم على الأمَّة بكاملها، وإعلان حرب داخليَّة بين أبنائها.
وقـى اللهُ المسلمـين ذلك، وإباحة للدِّماء والأعراض والأمـوال التي حرَّم الله، وصانتها شريعته.

وفي ذلك أكبر خدمة للكفر المتربِّص بالإسلام والمسلمين.
وفي الوقـت الذي ننكـر بأشد درجات الإنكار على التعاطي مع الشتم والسبّ واللعن بين المسلمين صحابة كانوا أو غير صحابة، فإنَّ التكفير للمسلم لجريمة أكبر وأخطر.
ولو كان التكفير من السهولة بحيث مَن سبَّ مسلمًا أو لعنه ظلمًا حُكم بكفره لخرج من الإسـلام خلق كثير مـن كلَّ المذاهب وفي كلِّ العصور، ولخرج عـدد كبير من الصحابة أنفسهم عن الإسلام.

وعجبًـا أن يحكـم ذوو المناصـب الدينيَّة الرسميـة الكبيرة بقضيـة الكفر على ملايين المسلمين المصلِّين الصَّائمين، الملتزمين بأصول الإسلام وفروعه ببرودة أعصاب حُكمًا فاسـدًا في كلٍّ مـن كبراه وصغراه؛ فكـبراه وهي أنَّ مَن سبّ مسلمًـا فقد كفر، مخالفة لقواعد الإسلام، وأحكامه الواضحة الضرورية.

وأمَّـا من حيث صغـراه وهو أنَّ علمـاء الشيعة يسبّـون، يشتمون، يلعنـون، ويتعبّدون

all pages.indd 37 2012-02-09 9:59:16 PM

بسـب الصحابة، فأنّـى لصاحب الفتـوى أن يتيقن بأنَّ كلَّ عالم شيعـي شغله وتعبُّده باللَّعـن والسـبّ والشتـم لهـذا أو ذاك من الصحابـة الذين تولَّوا أمـر الخلافة بعد رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؟!

أليس هذا من الرجم بالغيب؟!

هـذا العالم الشيعـي في بيته ما أدرى هذا المفتي والمتفوّه بالباطـل أنَّه يتعبد بشتم لهذا الخليفة أو ذاك حتى يعطي حكمًا كلّيًّا بكفر كلّ عالم شيعي؟!

أهذا علم؟!

ولـو تواجهت مساجد المسلمين وجوامعهم في قضية التكفير بأن صارت كلُّ طائفة تكفر الأخـرى من خـلال مساجدها ومحاريبهـا لاحترقت هـذه الأمَّة في أيـام، ولم يمهلها عصف الفتن عن الهلاك أكثر من ذلك.[٢٣]

حلّ الدَّم الحرام

تُحلّه دائمًا مطامع المستكبرين، ويُحلُّه الجهل بالإسلام، والبُعد عن الإسلام.

أُحلّ الدم الحرام سنّيًّا سنيًّا: فهو حلال على هذا المستوى في أفغانستان، وفي فلسطين، وفي تركيا، والجزائر، والصومال، والسودان.

وأُحلّ سنيًّا شيعيًّا: كما هو الوضع في العراق، وفي باكستان.

ويمكن أن يحلّ شيعيًّا شيعيًّا في معارك أخرى، وهو قد حصل في إيران، وفي لبنان.

أقول: وراء أن يحل الدم المسلم الحرام مطامع استكبارية عالمية من الخارج تُثير الفتن في داخـل هذه الأمَّة، وتُغذّيها تحت شعار مُدمِّـر يبنّاه جناح متطرّف في أمريكا وهو ما يُسمّى بالفوضى البنّاءة!

٢٣- آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) - خطبة الجمعة (٣٦٩) ١٩جمادي الأولى ١٤٣٠هـ - ١٥مايو ٢٠٠٩م.

all pages.indd 38 2012-02-09 9:59:16 PM

والفوضى البنّاءة تعني أنْ يُعمل جدًّا، ومن خلال كلِّ الوسائل على خلق فوضى في المجتمعات الإسلاميَّة عن طريق الحروب الطائفيَّة والقوميَّة والعِرقيَّة وإلى آخره، وهذه الفوضى هي التي يمكن من بعد ذلك، ومن بعد أن يحصل يأس من الإسلام، ومن حلٍّ من الداخل أن تقود إلى ديموقراطية الغرب بخلفيتها الفكرية، وبأخلاقيتها، وبأهدافها المادية بعيدًا عن قِيم الدِّين، وعن انتماء هذه الأمَّة إلى الهُويَّة الإسلامية، وبحيث تضمن تبعيَّة الأمَّة للمستكبر.

فيا شيعة وسنَّة في الخليج، وفي البحرين، احذروا فإنَّكم غير متروكين، فمصالح من الخارج، وربما تبعتها مصالح من الداخل، أو كانت معها في عرض واحد تتجّه إلى خلقِ الفتنة الحارقة داخلكم، فابغضوا قَلَمًا يثير الفتنة، حاربوا هذا القلم، وابغضوا، وحاربوا أيَّ لسان يثير مسألة الطَّائفيَّة البغيضة.

لا تحتاج إلى نظر ممعن حتى تعرف أن فتنةً سيّئة قاتلة مقصودةٌ لهذا المحيط الخليجي، ووقود هذه الفتنة مستضعفو الشِّيعة والسُّنَّة.
فيا إخوتي السُّنَّة والشِّيعة، احذروا أنْ تكونوا وقودًا لأطماع المستكبرين؛ مستكبري أمريكا، ومستكبري أوروبا.[٢٤]

٢٤- آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) - خطبة الجمعة (٢٤٦) ١٢ جمادى الأول ١٤٢٧هـ - ٩ يونيو ٢٠٠٦م.

all pages.indd 39 2012-02-09 9:59:16 PM

all pages.indd 40

الباب الرَّابع

الوحدة الإسلاميَّة في البحرين

٤

2012-02-09 9:59:16 PM

الوحدة الإسلاميَّة في البحرين

وعـن أساس الوحـدة عند الدولـة في بلدنا الكريم هـذا، توجد دعويـان وطرفان هما الحكومة وإحدى الطائفتين الكريمتين.

لا يوجـد صـراع بين طائفتين، يوجد خلاف بين الحكومـة والشَّعب على مستوى، ثمّ هو بين الحكومة وطائفة معيَّنة.
وهـو خلاف تذهـب فيه الحكومة إلى أنَّهـا تأخذ بمبدأ الاحـترام، ويذهب فيه الشعب بصـورة عامة إلى أن الحكومة تذهب فيه إلى مبدأ الإقصاء، وتذهب فيه طائفة معيّنة إلى أن الحكومة تستهدف الإلغاء.

هـذا هو الواقع، ومـن غير زيادة، ومن غير تحقيـق وتدقيق في الموضـوع، لأنَّ الصورة واضحة في الخارج.
نقول: فلتقبل الحكومة بحوار وطنيٍّ لا طائفيٍّ، وهو حوار موضوعه الحقوق والواجبات، ولغته لغة الأرقام لا اللغة الإعلاميَّة الخطابيَّة، وطرفاه هي، والمؤسَّسات السياسيَّة التي تمثِّـل وجهة النظر الأخـرى، لأنَّ هذا سيتيح أجواء هادئة يمكـن للحوار فيها أن يعيش موضوعيَّته، وأنْ يعيش هادفيَّته القادرة على إيصال السفينة إلى شاطئ الأمان.[٢٥]

العلاقات المذهبيَّة في البحرين

أنـا أتحدَّث عن العلاقـات المذهبية على مستـوى هذا الوطن، ويأتي هـذا على هامش أسبوع الوحدة:
١- كان يمكـن للعلاقـة بين الشِّيعة والسُّنة في البحريـن أنْ تستقر عند نمط واحد لمدَّة طويلـة مـن الزَّمن بلا تغيـيرات ملحوظة لا إيجابيـة ولا سلبيَّة في وقـت لم يكن هناك مقتضيات لتحريك المياه.

٢٥- آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) - خطبة الجمعة (٣٣٣) ٧ رجب ١٤٢٩ هـ - ١١ يوليو ٢٠٠٨م.

all pages.indd 41 2012-02-09 9:59:16 PM

اليـوم مقتضيات تحريك مجاري الأمور من خطّهـا إلى خطٍّ آخر موجودة بوفرة؛ منها السّياسي، ومنها الوعي الحقوقي، ومنها العصبيَّة المذهبيَّة.

٢- اليـوم تجتمع عوامل مختلفة للتَّردِّي بهـذه العلاقات، وانزلاقها في منعطف خطير، ومـع ترك التقريـب ستفلت الأمور إلى ما يمثِّـل خطرًا ساحقًا؛ لأنَّنـا سنَّة وشيعة ليس مغفـولًا عنَّـا، ومنَّا - شيعة وسنَّة - الجاهل المتعصب الـذي لا يقدر الأمور، وقد سادت تربيـة حاقدة في بعض أوساط المسلمين يمكن أنْ تفجّر وضعهـم، وتهدم سقفهم على رؤوسهم.

نحـن اليـوم بين موقفين: بين موقف أنْ نتقارب، فنسدّ بـاب الفتنة، وبين أن نُهمل شأن التقـارب، فالفتنـة عندئذٍ ستقتحم علينـا الأبواب، وستخترق كلَّ الجـدر، وستنبع من داخل، أو تأتي من خارج.

فالأمـر يحتاج إلى عمل جـاد في سبيل التقريب، ولا تحتاج الفتنـة؛ لاشتعالها لأنْ نأتي بحطب جديد، وأن نشعل أوارها.

هنـاك من سيُشعل الفتنة، هنـاك المصالح الاستكبارية العالمية التي لا تريد لهذه الأمَّة أن تتقـارب، ولا تكتفي منها اليوم، وقد بـدأ المسلمون صحوتهم إلَّا أنْ يدخلوا في شقاق مرهق طويل مدمّر.

٣- وعلـى طريق التقـارب، وسد باب الفتن، وخدمة الإسـلام والمسلمين، ولصالح هذا الوطن يُقترح:

أ- تأسيـس مجلـس علمائي أهلي مشترك له أنشطته الثقافيَّـة والاجتماعيَّة ومشاريعه العلميَّة، وخطواته التَّقريبيَّة المتعددة.

ب- جمعية سياسيَّة مشتركة من إسلاميِّين شيعة وسنَّة.

ج- جمعيـة ثقافيـة كذلـك، ويتحـرك إنتاجهـا وأنشطتهـا في المساحـة المشتركة بين المذهبين، وهي مساحة واسعة.

هـ- مركز رعاية ماديَّة للمحتاجين قوامه البشري من الطائفتين معًا، وتمويله كذلك.

و- مشاريع زواج مشتركة، وحفلات زواج إسلاميَّة كذلك.

all pages.indd 42 2012-02-09 9:59:16 PM

هـذه بعض خطـوات عمليَّة يمكـن أنْ تصبَّ في صالـح التَّقارب الإسلامـيِّ داخل هذا الوطن؛ لنكون نموذجًا جديدًا في عالمنا الإسلاميِّ، ولنكون شوكة في عين الظَّالمين.[٢٦] يبـاركُ كلُّ المخلصـين أيَّ مبـادرةٍ تهـدف إلى توحيد الصّـف، وجمع الكلمـة، وتأليف القلوب، ومواجهة أيِّ شكلٍ من أشكال التطرف الطائفيِّ، و أيِّ شكلٍ من أشكال التحشيد المذهبي، لما ينتج عن ذلك من عداواتٍ، وصراعاتٍ، ومواجهاتٍ قد تصل إذا لم تحاصر إلى حالاتٍ من العنف، والمعارك، والاقتتال.

ولا يكفـي أن نبـارك هـذه المبـادرات الطيِّبـة، وأن نثمِّن هـذه الجهـود، وإنْ كان لهذه المباركة، وهذا التثمين القيمة الكبيرة في الدَّفع في اتجاه الديمومة والاستمرار، والثبات والإصرار على تحدِّي كلِّ المثبِّطات، والمعوِّقات.
ولكنَّ الأهمّ هو أن نحمي هذه المبادرة من أن تسقط، وأن تفشل.

ولكي لا تسقط هذه المبادرات يجب

أوَّلًا: أنْ تحافظ على أهدافها الأصيلة والتي انطلقت من أجلها، وهذا يعني أنْ ننأى بها عـن أيِّ أغراضٍ تحاول أنْ تصادر تلك الأهداف، وعـن أيِّ توظيفات لا تخدم غاياتها النَّبيلـة، وطموحاتها النظيفة، وتوجهاتها الخيِّرة، وإلّا أدَّى ذلك إلى ردود فعلٍ معاكسةٍ تجهض هذه المبادرات.

ثانيًـا: ولموقـف السُّلطة الدَّور الأكبر في حماية هذه المبادرات من السقوط، لا من خلال المباركات والتَّأييدات والمؤازرات، وهذا كلُّه مطلوبٌ وضروريّ، ولكن من خلال إلغاء كلِّ أشـكال التَّمييز في سياسـة الدَّولة، وإلَّا فسوف تبقى هذه المبادرات شكلًا بلا مضمون، وعنوانًا بلا مصداق.

إنَّ أيَّ مواطـنٍ يعيش إحساسًا بأنَّه مصادَرٌ، متهَمٌ، محكومٌ لسياسةً التَّمييز والإقصاء، فلا يمكن أنْ يتفاعل مع خطابات يشعر أنَّها للاستهلاك، وتمرير السِّياسات.

٢٦- آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) - خطبة الجمعة ١٥٤ ٢٤ ربيع الأول ١٤٢٥هـ -١٤ مايو ٢٠٠٤.

all pages.indd 43 2012-02-09 9:59:17 PM

وأنا لا أريد أن أفتح ملف التَّمييز، ولا أريد أنْ أعلِّق على التجاذبات المتحركة هذه الأيام في أعقاب حمل ملف التمييز إلى أجواء الكونغرس الأمريكي، وهل يشكِّل هذا استقواءً بالخارج أم لا؟ وهل أنَّ هذا الاستقواء مشروعٌ أو غير مشروع.
ولا أريد أن أدخل في جدلٍ مع مقولاتٍ هنا ومقولاتٍ هناك تثبت أو تنفي.
كلّ هذا له حديثٌ آخر.

ما أهدف إلى قوله هنا: إنَّ سياسة التَّمييز حينما تمارسها أيُّ سلطةٍ حاكمة، فإنَّها تؤسِّس بذلك إلى انطلاق الصِّراع الطَّائفي، والاعتراك المذهبي، بل وتحرِّك كلَّ أشكال العداوات الدينيَّة والمذهبيَّة والسّياسيَّة.

صحيحٌ أنَّ الجماعات المهضومة، بسبب سياسات التمييز لا تتّهم الجماعات الأخرى الدينيّة والمذهبيّة والسّياسيَّة المحظوظة بكلِّ الامتيازات، إلّا أنَّ هذا الغبن وخاصةً إذا كان فاحشًا سوف يتحوَّل إلى صرخاتٍ رافضةٍ لسياسات التَّمييز، ولكلِّ المواقف الراضية بتلك الممارسات.

وهكذا يتكرّس حسّ التَّباين والانقسام والتنافي بين أبناء الوطن الواحد، فمَن الذي يغذِّي هذا الحسّ؟
لا شكّ أنَّ سياسة التمييز من أهمّ ما يغذِّي الانقسامات والصراعات الدينيَّة والمذهبيَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة.

فإذا أرادت – السُّلطة الحاكمة – لمبادرات الوحدة والتَّقارب أن تكون مبادراتٍ ناجحة، وأنْ لا تسقط هذه المبادرات، فيجب أن تنتهي سياسة التَّمييز، وسياسة التَّفرقة بين أبناء الوطن الواحد.[٢٧]

٢٧- آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) – حديث الجمعة (١٨٠) بتاريخ: ٢٠٠٨-١٠-٢٥ م، المكان: مسجد الإمام الصادق(ع) بالقفول.

all pages.indd 44 2012-02-09 9:59:17 PM

محاربة الطَّائفيَّة البغيضة

الجميع في هذا لبلد يرفع شعار (محاربة الطَّائفيَّة).
السُّلطة الحاكمة على كلِّ مستوياتها ترفع شعار (محاربة الطَّائفيَّة).
علماء الدِّين السُّنَّة والشِّيعة، وكلُّ القوى الدِّينيَّة (الحوزات، الجمعيَّات، المؤسَّسات) يحملون شعار (محاربة الطَّائفيَّة).
جميع القوى السّياسية والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة ترفع سعار (الرَّفض للطَّائفيَّة).
هكذا يتفق الجميع (السُّلطة، القوى الدِّينيَّة بكل انتماءاتها، بقية القوى العاملة في السَّاحة) على رفع شعار (الرفض للطَّائفيَّة).

ولا يختلف اثنان في خطر الطَّائفيَّة بما تحمله من أثار مدِّمرة على كلِّ الواقع الدِّينيِّ والأخلاقيِّ والاجتماعيِّ والثَّقافيِّ والسِّياسيِّ والوطنيِّ، وحينما نتحدث عن الطَّائفية لا نتحدَّث عن الانتماء لهذا المذهب أو ذاك المذهب، فهذا خيار ترفضه القناعات، ولكلٍّ الحقُّ أن يحدِّد خياره، وقناعاته في الانتماء الدينيِّ والمذهبيِّ والثَّقافيِّ والاجتماعيِّ والسِّياسيِّ مادام ذلك قائمًا على وعي وبصيرة ودراسة، كما من حقِّ الجميع أن يحافظوا على انتماءاتهم الدِّينيَّة والمذهبيَّة والسِّياسيِّة، وأنْ يدافعوا عن هذه الانتماءات مادامت الوسائل نظيفة ومشروعة.

وكذلك يحقُّ للجميع أنْ يتحاوروا فيما بينهم دينيًّا ومذهبيًّا وثقافيًّا وسياسيًّا بشرط أنْ يكون هذا الحوار علميًّا موضوعيًّا نزيها، كلُّ هذا ليس من الطَّائفيَّة.

الطَّائفيَّة المرفوضة

الطَّائفيَّة المرفوضة: عداء الآخر، محاربة الآخر، التَّحريض ضدَّ الآخر.
الطَّائفية المرفوضة: تميز السُّلطة في الحقوق والواجبات بين مواطن ومواطن على أساس الانتماء الدِّينيِّ والمذهبيِّ والسِّياسيِّ.

all pages.indd 45 2012-02-09 9:59:17 PM

أخلص إلى القول:

١- إنّ الانتماء الدِّينيَّ والمذهبيَّ والسِّياسيَّ ليس من الطَّائفيَّة المرفوضة.

٢- وإنَّ الدِّفاع عن هذا الانتماء بالأساليب المشروعة ليس من الطَّائفية المرفوضة.

٣- وإنَّ التَّحـاور العلمي النَّظيف بين الانتماءات الدِّينيَّة والمذهبيَّة والسِّياسيَّة ليس من الطَّائفيَّة المرفوضة.

الطائفيــة المرفوضة تلك التي تتحوَّل إلى عصبيَّات، وإلغاءات، ومصادرات، وعداوات، ومواجهات، وإلى استباحة دماء، وأموال، وأعراض.

أعود للقول: هذه الطَّائفيَّة يتَّفق الجميع على خطرها، ويتَّفق الجميع على رفضها.

ولكن السَّؤال الأصعب: هل يتحرَّك الجميع عمليًّا؛ لمحاربة الطَّائفيَّة؟

أم أنَّ ذلك مجرَّد (شعار) يُرفع، ومجرَّد (كلمات) تُقال، ومجرَّد (عواطف) تُطلق؟

دعونا نتحدَّث بصراحة..

أوَّلًا: مع السُّلطة

ونبدأ بالسُّلطة:

السُّلطـة مـن المواقع الكبيرة وحتَّى أصغـر المواقع ترفع شعار محاربـة الطَّائفيَّة، وهذا جميل جدًّا، إلَّا أنَّ الواقع العمليَّ ماذا يقول؟

هل أنَّ وظائف الدَّولة مفتوحة لكلِّ المواطنين بلا تمييز؟

هل أنَّ الوزارات والمؤسَّسات الحكوميَّة تحتضن الكفاءات في هذا البلد بلا تمييز وبشكل عادل؟

هل أنَّ البَعَثات الدِّراسيَّة لا تخضع للمعايير الطَّائفيَّة والمذهبيَّة؟

هـل أنَّ السَّماح ببناء المساجد، والحسينيَّات، والجمعيَّات، والمؤسَّسات لا يحكمه الحسُّ الطَّائفيُّ والمذهبيُّ؟

هل أنَّ مناهج التَّعليم في المدارس الرَّسميَّة لا تعبِّرُ عن إقصاء طائفيٍّ ومذهبيٍّ؟

هـل أنَّ تقسيمـات الدَّوائر الانتخابيَّـة البرلمانيَّة والبلديَّة لا تحمل ظلمًـا وحيفًا طائفيًّا ومذهبيًّا؟

وهل؟، وهل؟، وهل؟، إلى آخر التَّساؤلات.

all pages.indd 46 2012-02-09 9:59:17 PM

أترك الإجابة على هذه الأسئلة للمسؤولين.
قـد يقول البعضـ: إنَّ إثارة هذه القضايا، وهـذه التَّساؤلات هو من أسبـاب (التَّأجيج الطَّائفـيِّ)، لذلـك يرفضـ هـذا البعضـ أنْ يتحـرَّك أيُّ مشـروع لمعالجـة (المشكلة الطَّائفيَّة)، لأنَّ هذا التَّحرُّك سوف يؤجِّج الخلافات المذهبيَّة.
... إذا أحسنـا الظَّـنَّ، فنقول: إنَّ هؤلاء مشتبهون كلَّ الاشتبـاه، وإذا لم نسمح لأنفسنا بحسن الظَّنِّ، فلا نشكَّ في أنَّ هذا الموقف يمثِّل طائفيَّة بغيضة.
ولنحسن الظَّنَّ، فنقول: إنّهم مشتبهون.

هـل السُّكوت عـن (الممارسـات الطَّائفيَّة) هو الـذي يحمي هذا البلد مـن التَّداعيات الخطيرة للإقصاء الطَّائفيِّ؟!
إذا كان هؤلاء يصرِّون أنْ لا تمييز طائفي، ولا تمييز مذهبي، ولا تمييز وظيفي في هذا البلد، فليقبلوا بمحاسبة هذه المسألة من خلال البرلمان، أو من خلال الحوارات، أو من خلال أيِّ صيغة أخرى.

نتمنَّى أنْ تكتشف المحاسبة، أنْ لا طائفيَّة، ولا تمييز.
ولكن ماذا نقول لكلِّ أولئك الذين يعانون ليل نهار من ضغط الطَّائفيَّة، والتَّمييز؟
هل يمكن أنْ تسكت أوجاعهم وآلامهم ومعاناتهم كلمات وتصريحات وبيانات؟
لا بدَّ أنْ نضع أيدينا على الجروح حتى يمكن أنْ نعالجها.
إنَّ جـروح الطَّائفيـة والتَّمييز لا تعالـج إلَّا بالمصارحة، والمكاشفـة، والمحاسبة، والعمل الجاد للخلاص منها.
هذا حديثنا مع السُّلطة.

ثانيًا: مع علماء الدِّين
ونقف ثانيًا مع علماء الدِّين السُّنَّة والشَّيعة، ومع القوى الدِّينية السُّنِّيَّة والشِّيعيَّة.
لا اعتقـد أنَّ هناك من هؤلاء العلماء، ومن هـذه القوى مَن لا يؤمن بخطر الطَّائفيَّة في معناها المرفوض.

all pages.indd 47 2012-02-09 9:59:17 PM

ولا أعتقد أنَّ عالمًا سنيًّا أو شيعيًّا لا يؤمن بضرورة محاربة الطَّائفيَّة البغيضة.
صحيح قد يوجد في هذه الطَّائفة، أو تلك - مَن هو مسكون بـ(الهوس الطَّائفي)، فتراه - بمناسبة، أو غير مناسبة - يمارس (الشَّحن الطَّائفيّ)، ويؤجِّج العداوات، ويحرض، ويهذي هذيان المخبولين.
هذا الفصيل يجب أنْ يكون منبوذًا مرفوضًا؛ لأنَّه بلاء على هذا الشَّعب، ومصدر فتنه وفساد.
الكلام عن المسار العام لعلماء هذا البلد (سنَّه، وشِيعه) ممَّن يحملون شعار التَّصدُّر والمواجه للوضع الطَّائفي، وممَّن يؤمنون بخطر الصِّراع الطَّائفيّ، ونتائجه المدمِّرة.

لهؤلاء أقول:
أين هو التَّحرُّك العمليُّ لمواجهة خطر الطَّائفيَّة؟
وأين هو المشروع العمليُّ في التَّصدِّي لكلِّ الممارسات التي تشنِّج الوضع الطَّائفيَّ، وتأجِّج الصِّراع الطَّائفيَّ؟
الحديث مع السُّنَّة والشِّيعة معًا: إذا كنَّا نؤمن جميعًا بخطر الطَّائفيَّة المرفوضة، وبآثارها المدمِّرة ونتائجها المرعبة، فلماذا يبقى الأمر مجرَّد شعارات، وكلمات، وخطابات.
وإذا تطوَّر الأمر مجرَّد ملتقيات، ومؤتمرات تحمل شعار الوحدة والتَّقارب إلَّا أنَّها لا تحرِّك شيئًا على الأرض.
تنتهي الملقيات والمؤتمرات، وتصدر القرارات والبيانات الختاميَّة، إلَّا أنَّها تبقى حبرًا على ورق، ويعود السُّنِّيُّ إلى قواعده؛ ليتحصَّن فيها، ويعود الشِّيعيُّ إلى قواعده؛ ليتحصَّن فيها، وتبقى الفواصل المصطنعة هي التي تحكم كلَّ العلاقات!

السُّؤال: متى يتحرَّك المشروع العمليُّ للتَّقارب في مواجهة خطر الطَّائفيَّة المدمِّر؟
حتى الآن لم تبدأ الخطوات الأولى لهذا المشروع، لماذا؟، وما هي المعوِّقات؟
هناك معوِّقات لا يتَّسع هذا الحديث لتناولها، ولا يسمح هذا الخطاب لمعالجتها.
المطلوب أنْ تبدأ لقاءات جادَّة تؤسِّس لمشروع التَّصدِّي لخطر الطَّائفيَّة، وهنا يجب

all pages.indd 48 2012-02-09 9:59:17 PM

أنْ يتصـدَّى بعضُ العلماء المخلصين من الطَّائفتين؛ ليتـمَّ التَّواصل والتَّفكير الجادُّ في الانطلاق بالمشروع العمليِّ.

أنـا أعلـم أنَّ هنـاك مَن لا يرضيهـم التَّواصـل السُّنِّـيُّ الشِّيعيُّ، وهناك مَـن لا تسمح مصالحهـم لهذا التَّواصل، إلَّا أنَّ الانتماء الصَّادق لهذا الإسلام، ولهذا الوطن في ظلِّ المشروعـات التـي يحركها أعداء هـذه الأمَّة؛ من أجل زرع الفتنـه الطَّائفيَّة، ومن أجل تفتيـت الوحـدة والتَّقـارب، كلُّ هذا يفرض أنْ نتواصل، وأنْ نواجـه مخطَّطات العبث الطَّائفيِّ، ومشروعات الفتنه الطَّائفيَّة.

الأمَّـة، إنَّنا نمدُّ أيدينـا لأيِّ تقارب حقيقـيٍّ، وليس لملتقيات، ومؤتمـرات، واحتفالات، ومؤسَّسات شكليَّه توظِّف لمصالح الأنظمة السِّياسيَّة.
إنَّنـا نمـدُّ أيدينا، ونفتح قلوبنـا لأيِّ مبادرة تؤسِّـس للتَّواصل الحقيقـيِّ بين الطَّائفتين الكريمتين في هذا البلد.

لقـد أطلقنـا، ولا زلنا نطلـق وبكلِّ صدق وإخلاص هذه المبـادرة، ولسنا محكومين في هـذا لحسابات سياسيَّه، أو أغراض ذاتيَّه، أو أهـداف مذهبيَّه، إنَّما هي القناعة التي يشكِّلهـا الانتماء لهذا الدِّين، ولهذه الأمَّة، وإنَّما هـي الرُّؤية البصيرة التي تقرأ الواقع بكلِّ مخاضاته، وحساباته، وضروراته.

أنا أعلم أنَّ مثل هذا الحديث يضيق به نفر ممَّن يحملون نفوسًا ضيِّقة، وعقول أضيق، هؤلاء لا يريدون الخير لهذا البلد، وإنْ ملأوا الدُّنيا ضجيجًا وصرخًا وعويلًا وبكاءً على الأرض، والوطن، والحكم، والحاكم.
إنَّ مسؤوليَّـة المخلصين الصَّادقين أنْ يواجهوا الفتنة الطَّائفيَّة، وأنْ ينطلقوا في مشروع عملـيٍّ جادٍّ وحقيقيٍّ لحماية البلاد والعباد من أخطار هذه الفتنه التي إذا اشتعلت – لا سمـح الله –، فلن تبقى أخضـر ولا يابسًا، ولن يكون هناك في البلاد رابح، ولا منتصر إلَّا أعداء الإسلام، وأعداء الأمَّة.

all pages.indd 49 2012-02-09 9:59:17 PM

هـؤلاء الأعداء الذين ما فتئوا يحرِّكون مكائد ضدَّ الإسلام، وضدَّ القرآن، وضدَّ النَّبيِّ الأعظـم صلى الله عليه وآله ، لقد قاموا بتدنيس المصحف الشَّريف، وأصـدروا الرُّسومات المسيئة إلى النَّبـيِّ صلى الله عليه وآله ، وهاهـم اليوم يبثون فلمًا على الإنترنـت يحمل اسم (فتنه) لنائب هولندي متطرِّف أساء فيه إلى القرَّاء الكرام، وإلى الإسَّلام، وإلى نبيِّ الإسلام محمَّد صلى الله عليه وآله ، وقد أعلن في ألمانيا عن عرض لمسرحيَّة (رواية آيات شيطانيَّة) للمرتدِّ سلمان رشـدي، والذي أصدر الإمام الخميني (رضـوان الله عليه) فتواه المشهورة بإباحة دمه عقب إصداره تلك الرِّواية.

هكذا تتحرَّك المكائـد والمؤامرات ضدَّ الإسلام، وضد المسلمين، وهكذا ينشرون الفتنه والخلافات، والصِّراعات، والمعارك الدَّامية في داخل أوطان المسلمين.

كـم هي الحاجة كبـيرة وكبيره في هـذه الظُّروف على صـوت العقل، وخطـاب العقل، وليسـ إلى خطابات الفتنة الطَّائفيَّة، وليسـ إلى خطابات الشَّحن الطَّائفيِّ، وخطابات التَّحريضـ الطَّائفيِّ، هذه الخطابات التي أدمـن عليها بعض المفلسين ثقافيًّا وأخلاقيًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا، هذه الخطابات التي أصبحت ممقوتة لدى كلِّ العقلاء والمخلصين والسَّنَّة والشِّيعة.

إنَّ هـذه الخطابات الممقوتة مضرَّة بوحدة الصَّفِّ، وتدفع في اتِّجاه العداوة والكراهيَّة، وإثارة العصبيَّات.
وأكـرِّر: إنَّ التَّصـدِّي لخطـر الطَّائفيَّـة في حاجـة إلى مشروع عمليٍّ ينتظـم في داخله مجموعة خطوات متحرِّكة.
أنا أدعو إلى تواصل علمائيّ (سُنِّي شيعي).
أدعو إلى تواصل ثقافيّ (سُنِّي شيعي).
أدعو إلى تواصل اجتماعيّ (سُنِّي شيعي).
إلى تواصل اقتصاديّ (سُنِّي شيعي).
إلى جميع أشكال التَّواصل.

all pages.indd 50 2012-02-09 9:59:18 PM

جهـات كثيرة لا تريد هـذا التَّواصل، جهات خارجيَّة، جهـات داخليَّه، جهات سياسيَّه، جهـات دينيَّه، جهات سنيَّه، جهـات شيعيَّه، ولكن يبقى نداء الله تعـالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ ...﴾.[٢٨]

ويبقـى نداء الله تعالى: ﴿... وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَـبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.[٢٩]

ويبقـى نداء الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَـا رَبُّكُـمْ فَاعْبُـدُونِ﴾[٣٠].[٣١]

٢٨- آل عمران:١٠٣.

٢٩- الأنفال:٤٦.

٣٠- الأنبياء:٩٢.

٣١- العلامة السيد عبد الله الغريفي (حفظه الله) - حديث الجمعة (١٦٨) - تاريخ: ٢٦/ ربيع الأول/ ١٤٢٩هـ- الموافق: ٠٤/٠٤/٢٠٠٨م - ٢٠٠٨ - المكان: مسجد الإمام الصادق عليه السلام بالقفول.

all pages.indd 51 2012-02-09 9:59:18 PM

all pages.indd 52

الباب الخامس

٥

خطاب الوحدة، الاتِّجاهات والمواقف

2012-02-09 9:59:18 PM

خطاب الوحدة، الاتِّجاهات والمواقف

تتحـرَّكُ في السَّاحـةِ الإسلاميّـةِ السنّيـةِ والشِّيعيَّـة مجموعةُ اتجاهـاتٍ ومواقفَ من خطاب الوحدة، أوجزُهَا في الاتِّجاهاتِ التَّالية:

الاتِّجاه الأوَّل: الاتِّجاه المتعصِّب

الاتِّجـاهُ المتشـدِّدُ المتعصِّبُ الرَّافضُ لأيِّ شكلٍ من أشكالِ التقـاربِ بين السُّنَّةِ والشِّيعةِ، بدعـوى أنَّ الآخَرَ المذهبيَ هـو أساسًا خارج الدائرةِ الإسلاميّـةِ، ويتحرّك هذا الموقف لدى متشددين ومتطرفين من السنّة، ولدى متشددين ومتطرفين من الشّيعة.
هذا الاتِّجاه يرفضه كلُّ العقلاء من المذهبين.

لماذا؟

أوَّلًا: التَّطرّف بكلِّ أشكاله مرفوض (التَّطرُّف الدِّيني، المذهبيّ، السّياسيّ، والثقافيّ) كونُـه لا يرتكـزُ على أسسٍ قرآنيّةٍ وفقهيّةٍ وعقليّةٍ وموضوعيّـة، وإنَّما هو نزعةٌ، منغلقةٌ، مأسورةٌ للتعصّب المفرط في إلغاء الآخر ومصادرته، واحتكار الحقِّ المطلق.

ثانيًـا: هـذا الموقـفُ المتشدّدُ مذهبيًّـا أنتج حالاتٍ مـن التَّطرُّفِ والعنفِ كلَّفـتْ الواقعَ الإسلاميَّ السنيَّ والشيعيَّ أثمانًا باهضةً من صراعاتٍ ومواجهاتٍ، وصداماتٍ ودماء.

ثالثًـا: هذا اللون مـن التَّطرُّفِ والتَّشدّدِ تغذّيه – بلا إشكال – مؤثّراتٌ خارجيةٌ معاديةٌ للإسلامِ والمسلمين، تطبيقًا للقاعدةِ الخبيثةِ «فرِّق تَسُد».
يقـول لورانـس براون: «يجب أنْ يبقـى العرب والمسلمون متفرّقـين؛ ليبقوا بلا قوَّة، ولا تأثير».

all pages.indd 53 2012-02-09 9:59:18 PM

وقـال لويس التَّاسع ملك فرنسا: «إنَّه لا يمكن الانتصار على المسلمين من خلال حرب، وإنَّمـا يمكـن الانتصار عليهم بواسطـة السِّياسة باتِّباع ما يلـي - وذَكر مجموعة أمور منها -:

١- إشاعة الفرقة بين قادة المسلمين.

٢- عدم تمكين البلادِ الإسلاميّةِ والعربيّةِ أنْ يقوم فيها حكم صالح.

٣- إفساد أنظمة الحكم في البلاد الإسلاميَّة بالرشوةِ، والفسادِ، والنِّساءِ.

٤- الحيلولة دون قيام جيش مؤمن بحقِّ وطنه، يضحِّي في سبيل مبادئه.

٥- الحيلولة دون قيام وحدة عربيَّة في المنطقة.

٦- العمل على قيام دولة غريبة في المنطقة العربية ....».[٣٢]

الاتِّجاه الثَّاني: الاتِّجاه المتحفِّظ

الاتِّجـاهُ المتحفِّظُ جدًّا مـن مسألةِ التَّقاربِ السُّنِّي الشِّيعيّ، ليس انطلاقًا من عصبيّةٍ، وتشـدُّدٍ وتطـرُّفٍ - كما في الاتِّجاه الأوَّل-، وإنّما من فهمٍ خاطـئٍ يرى أنَّ هذا التقاربَ فيه إلغاءٌ للانتماء المذهبي.

نقول لهؤلاء المتحفِّظين الخائفين من السُّنَّة والشِّيعة:

أوَّلًا: إنَّ مشـروع الوحـدةِ والتَّقاربِ لا يفرضُ أبدًا «التَّخلِّـي المذهبي»، ولا يفرض إلغاءَ القناعاتِ الخاصَّةِ، وإنَّما هو «تفعيلٌ عمليٌّ للقواسمِ المشتركةِ الكبيرةِ جدا بين المسلمين» وتجسيدٌ لخطابات القرآن:

• ﴿وَاعْتَصِمُـواْ بِحَبْـلِ اللّهِ جَمِيعًـا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَـةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّـفَ بَيْنَ قُلُوبِكُـمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْـرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَـا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَاعْتَصِمُـواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُـرُواْ نِعْمَـةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْـدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُـم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ❖ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ

٣٢ هذه الوثيقة محفوظة في دائرة الوثائق القوميّة في باريس نقلًا عن جريدة آخر ساعة / العدد: ٢١٠٦ سنة ١٩٧٥.

all pages.indd 54 2012-02-09 9:59:18 PM

الْمُفْلِحُونَ ❖ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.[٣٣]

- ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.[٣٤]
- ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.[٣٥]
- ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾.[٣٦]

ثانيًا: التَّنوُّع المذهبيُّ والثقافيُّ والسِّياسيُّ لا يشكِّلُ عُقدةً أمامَ مشروعِ التَّقاربِ والوحدةِ إلّا إذَا تحـوّلَ هذا التنـوُّعُ إلى تعصّبٍ وتشدّدٍ وتطرّفٍ - كما ذكرنـا سابقًا - ممَّا ينتجُ حالات الإلغاءِ والمصادرة.

فالخطـابُ العاقلُ المنفتحُ قادرٌ أن يحوِّلَ الكثـيرَ من نُقَاطِ الاختلافِ في مجالاتِ الفكرِ والفقـهِ والسّياسـةِ إلى «منتجـاتٍ فاعلـة» للتَّقـاربِ والتآلـفِ، وإلى «صياغـاتٍ عمليَّةٍ متحرّكـةٍ» تغنـي الواقع الفقهيَّ، والثَّقـافيَّ، والسِّياسيَّ بخياراتٍ متعـدِّدة ما دامت هذه الخياراتُ ترتكزُ على رؤى علميَّةٍ مدروسةٍ، وليست نتاجَ قناعاتٍ مرتجلةٍ، وفهمٍ متسرّع، ورؤى مزاجيّة.

الاتِّجاه الثّالث: الاتِّجاه المتشائم

اتِّجـاه محكوم لنزعـة متشائمة يائسة (لعقدة اليأس، والإحبـاط، والتَّشاؤم) تشكَّلت مـن خلالِ إخفاقـاتٍ متراكمةٍ، وتجاربَ فاشلـةٍ جسَّدها تاريخُ الجهـودِ والمحاولاتِ في مجالاتِ الوحدةِ والتقارب.

فـلا جدوى مـن إضاعة القدرات والأوقـات في مشروعات طوبائيَّـةٍ خياليَّةٍ لا يمكن أن تتحقَّق على أرض الواقع.

---

٣٣ - آل عمران: ١٠٣- ١٠٥.

٣٤ - الأنفال: ٤٦.

٣٥ - الأنبياء:٩٢.

٣٦- المؤمنون:٥٢.

all pages.indd 55 2012-02-09 9:59:19 PM

ولماذا نرهق أنفسنا بتجارب فاشلةٍ سلفًا؟

ولنا حول هذا الاتجاه بعضَ ملاحظاتٍ:

أوَّلًا: ليس صحيحًا ما يُدّعى من إخفاقِ كلِّ المحاولاتِ، وفشلِ كلِّ التَّجارب.

هذه نماذجُ لتجارب ناجحة:

١- جماعة التَّقريب بين المذاهب الإسلاميَّة بالقاهرة، والتي تشكَّلت في سنة (١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م) أي منذ ما يقرب من ستين سنة.

هذه الجماعة ضمَّت علماء من الطَّراز الأوَّل أمثال: الشيخ محمود شلتوت، الشيخ عبد المجيد سليم، الشيخ محمد أبو زهرة، الشيخ محمد المدني، وآخرون من علماء السُّنَّة.

وأمَّـا من علماء الشيعة الذين انضموا لهذه الجماعـة، أو دعموها بقوة: الشيخ محمد تقـي القمي «الأمين العام لدار التَّقريب آنذاك»، الشيخ محمد جواد مغنية، السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، وكان المرجع الديني الكبـير السَّيد البروجردي من الداعمين الأقوياء لهذا المشروع، وله مراسلات مع شيخ الأزهر آنذاك.

هـذه التجربة المباركة قد حقّقت مكاسبَ كبـيرةً في التواصلِ العلميِّ والفكريِّ والفقهيِّ والاجتماعيِّ، ولا زالت أثارُ تلك المكاسب وبركاتها قائمةً حتى هذا العصر.

اقـرؤوا المجلـة التي كانت تصدر عـن دار التَّقريب والتـي سُمّيت (رسالـة الإسلام)، واستمـرَّ صدورها من سنـة (١٣٦٨هـ) حتى سنـة (١٣٩٢هـ)، وبلـغ مجموع ما صدر منها ستِّين عددًا، وهذه المجلة غنيَّةٌ جدًّا بالأبحاث العلميَّة والفكريَّة والفقهيَّة والقرآنيَّة المتخصِّصة.

وإذا كان هـذا المشـروع قد تجمَّد، فبفعل أهداف وأغراض سياسيَّة خارجة عن إدارة القائمين عليه.

all pages.indd 56 2012-02-09 9:59:19 PM

٢- مجمع التَّقارب بين المذاهب الذي تأسَّس في إيران بعد انتصار الثورة الإسلاميَّة، هذه التجربة ناجحة جدًّا، فقد استطاعت أنْ تقارب بين العلماء والمفكِّرين والمثقّفين من مختلف المذاهب الإسلاميَّة، ولا زال هذا المشروع قائمًا وفاعلًا وناجحًا.
٣- جماعة علماء المسلمين في لبنان، وهي تجربة شاخصة تؤكِّد إمكانيَّة التَّجمُّع الإسلاميِّ العلمائيِّ في مواجهة قضايا العصر، وتحدِّياته.
٤- الاتِّحاد العالمي لعلماء المسلمين.
٥- أُذكِّركم بتجربة قامت في هذا البلد، وهي ليست تجربة دينيَّة، وإنْ كان قد غذَّاها الحسُّ الدِّينيِّ، وساندتها الجماهير الدينيَّة.

في الخمسينات تشكَّلت في البحرين «هيئة الاتِّحاد الوطني»، وقد جسَّدت تنوعًا مذهبيًّا واضحًا استطاع أنْ يواجه الفتنة الطَّائفيَّة والتي كان يغذِّيها - آنذاك - المستشار الإنكليزي بلجريف.

كان على رأس هذا التَّشكُّل عدد من الشَّخصيَّات الدِّينيَّة والسِّياسيَّة والاجتماعيَّة السُّنِّيَّة والشِّيعيَّة.
ولست هنا في صدد التَّقويم لهذه الحركة في منطلقاتها، وأهدافها، ونتائجها، وإنّما طرحتها شاهدًا حيًّا على أنَّ التَّنوُّع المذهبيَّ لا يشكِّل عاملًا سلبيًّا يهدِّد حركة «الاستقطاب والتَّمركز» حول قضايا الأمَّة الكبرى.

ثانيًا: ثمَّ إنَّ فشل ألف تجربةٍ لا يعني فشل الفكرة.

ثالثًا: وإذا كان هناك تاريخٌ من الصِّراع المذهبيِّ كرَّس روح اليأس عند البعض، فإنَّ هناك تاريخًا طويلًا من المحبة والتَّعايش بين السُّنَّة والشِّيعة.
وتاريخ هذا البلد شاهدٌ على ذلك، بل وحاضر هذا البلد كذلك، لا يشوِّش هذا التَّعايش صيحاتٌ طائفيَّة متطرِّفة لا تمثِّل أصالة البلد، وتاريخه.

all pages.indd 57 2012-02-09 9:59:19 PM

أنـا أذكر - أيَّام الدِّراسة الابتدائيَّة، والثَّانويَّة - كنَّـا نعيش أجواءً من المحبَّةِ والصَّفاء والأُخـوَّة سُنّةً وشيعـة، لا زلتُ أحمل في ذاكرتي أسماءَ لنمـاذجَ رائعة جدًّا من زملائي السُنَّـة، وصدِّقـوني إنْ قلت لكـم: إنَّ كثيرًا من زمـلاء الدِّراسةِ الشِّيعـةِ قد غابوا عن ذاكرتـي، أمَّا هؤلاءُ الزُّمـلاءُ السُّنَّة فلم يغيبوا عـن ذاكرتي أبـدًا، وإنْ اختفت أسماءُ بعضهم.

فلا مبرِّر أنْ يحكمنا اليأس والتَّشاؤم مهما اشتدت ضراوة العابثين واللَّاعبين على وتر الطَّائفيَّة البغيض.

ويبقـى صـوت المحبَّة هو الأقوى، وهـذا لا يعني أنْ نتعامل مع مشـروع الوحدة بطريقة حالمـة تعتمد التَّبسيط السَّـاذج الذي لا يضع حسابًا للمعوِّقـات الحقيقيَّة، بل لا بدَّ من التَّعاطي مع هذا المشروع بطريقة واقعيَّة تحدِّق في كلِّ ما يتحرَّك على الأرض، وتخطِّط بحكمة وبصيرة، وتلاحق كلَّ الإشكالات والمعوِّقات.

الاتِّجاه الرَّابع: الاتِّجاه الكسول

- لا من تطرُّف.
- ولا من نظرة خاصَّة.
- ولا من عقدة اليأس والإحباط.
- وإنَّما نزوع نفسي نحو الكسل، والاسترخاء.

وهو اتِّجاهٌ مأسورٌ لحالاتِ الكسلِ، والاسترخاءِ، والتَّخاذل.

كثـيرون يؤمنون كلَّ الإيمان بضرورة التَّصدِّي لمشروعات الفتنة الطَّائفيَّة، والوقوفِ في وجـه خطاباتِ التَّطرُّف، إلّا أنَّهم لا يتحرَّكون ولا يعملون، لأنَّ ذلك يكلِّفهُم عناءً وجهدًا وتعبًـا، وصبرًا وثباتًا، وبذلًا وعطاءً وتضحيـةً، وهم لا يريدون أنْ يعطوا كلَّ هذا، لأنَّهم استمرأوا الرَّاحةَ، والدِّعةَ، والخمولَ، والكسلَ، والاسترخاء والتَّخاذل.

ونقول لهؤلاء الكسالى، والمسترخين، والمتخاذلين:

all pages.indd 58 2012-02-09 9:59:19 PM

أوَّلًا: إذا كان أعـداءُ ديننا، وأعداء أمَّتنا، وأعداء وحدتنا قد استنفروا كلَّ إمكاناتهم، وقدراتهـم، ومخطّطاتهم؛ من أجل تمزيقنـا، وتشتيتنا، وإضعافنـا، فهل نملك مبرِّرًا شرعيًّا وعقليًّا يسوِّغ لنا الكسل، والدِّعة، والرَّاحة، والاسترخاء، والتَّخاذل؟

ثانيًـا: وأيـن هي خطابـات الجهاد والمجاهـدة، والصَّبر والمصابـرة، والعطاء والبذل والتَّضحية، والدَّعوة، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر؟

• جاء في كلمة لرسول الله صلى الله عليه وآله: «كفى بالمرء في دينه فتنة، أنْ يكثر خطأه، وينقص عمله، وتقلُّ حقيقته، جيفة باللَّيل، بطَّال بالنَّهار، كسول، هلوع، رتوع».[٣٧]

ثالثًـا: حينمـا يتطاير شـرر الفتن العمياء لـن يستثني نائمًـا، أو قاعـدًا، أو كسولًا، أو مسترخيًا، أو متخاذلًا، ولن يستثني بريئًا، أو طفلًا، أو امرأةً، أو شيخًا.

• ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.[٣٨]

انظـروا حينمـا استيقظت الفتنة الطَّائفيَّـة في بعض بقاع الأرض، كـم حرقت أوطانًا، ودمَّـرت شعوبًـا، وأربكت أوضاعًـا، وأزهقت أرواحًـا، وأرعبت نفوسًـا، وزعزعت أمنًا واستقرارا!

فماذا ينتظر القاعدون الصَّامتون المتخاذلون؟

الاتِّجاه الخامس: الاتِّجاه المتفائل

مكوِّنات هذا الاتِّجاه: الاعتدال، الوعي، التَّفاؤل، الحركيَّة.

وهنـا يتشكَّل الاتِّجاه الصَّائب، والذي يؤكِّد ضرورة العمـل على وحدة الأمَّة؛ ومن أجل تماسكهـا، وقوَّتهـا، وعزَّتهـا، وضرورة التَّصدِّي بـكلِّ إيمان وصـدق لمشروعات الفتنة

٣٧- ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ ص ٢٣٦٦- تحقيق: دار الحديث - الطبعة: الأولى- المطبعة: دار الحديث - الناشر: دار الحديث.

٣٨- الأنفال:٢٥.

all pages.indd 59 2012-02-09 9:59:19 PM

الطَّائفيَّـة التي تدمِّر البلاد والعبـاد، وتهلك الحرث والنَّسل، وتزرع في الأرض الفساد، وتنسف الأمن والاستقرار، والمحبَّة والوئام، والوحدة والالتئام.

ويعتمد هذا الاتجاه منطلقين أساسيَّين:

- القناعات الشَّرعيَّة.
- الضَّرورات الموضوعيَّة.

والسُّؤال الصَّعب الذي يواجه الاتِّجاه الخامس:

- هل استطاع هذا الاتِّجاه أنْ يتحوَّل إلى مشروعٍ يتحرَّك على الأرض؟

أم لا زال خطابًا، وشعارًا، ونظريَّةً، ومشاعرَ، وأمنيات؟

هـذا تساؤل مشروع، يفرض علينا أنْ نمارس قراءةً علميَّةً نقديَّةً؛ لنكتشف من خلالها «المستـوى العملـي» لحركة الخطاب، ومـا لم نمارس هذه القراءة وبعقـل هادئ، ورؤيةٍ بصـيرة، وروحٍ موضوعيَّـةٍ، فإنَّ الخطاب سيبقى يعيش «الشَّلـل، والرُّكود، والاختناق»، وسيبقى أسير «الرُّؤى الحالمة، والتَّراكمات الخاطئة».

وهنا تبرز القيمة الكبيرة «للحوار»؛ من أجلِ معالجة «الإشكالات والمعوِّقات» التي تواجه «خطـاب الوحـدة والتَّقارب»، وعندمـا يغيب «الحـوار» يتعقَّد هذا الخطـاب، وترتبك حركته، وتحاصره الإشكالات والمعوِّقات الفكريَّة والنَّفسيَّة والعمليَّة.[٣٩]

كيف يمكن التَّعاطي مع الاختلافات المذهبيَّة؟

للتَّعاطي مع هذه الاختلافات توجد عدَّة رؤى:

الرُّؤية الأولى: نبذ الإثارة المذهبيَّة

تؤكِّـد هـذه الرُّؤية علـى ضرورة الابتعـاد عن إثـارة قضايا الاختـلاف المذهبيِّ بشكل مطلـق في الدَّائـرة العامَّة – دائرة الجماهير –، وفي الدَّائـرة الخاصَّة – دائرة العلماء

٣٩- العلامة السيد عبد الله الغريفي (حفظه الله) – خطاب الوحدة: الاتجاهات والمواقف – الحوار وضمانات النجاح- بتاريخ: ١٧ شوال ١٤٢٩هـ، الموافق:١٩/١٠/٢٠٠٨م، المكان: بيت القرآن، المنامة.

all pages.indd 60 2012-02-09 9:59:19 PM

والمتخصِّصين والمثقَّفين -، لأنَّ تحريك قضايا الاختلاف على أيِّ مستوى من المستويات يؤثِّـر سلبًا على مشـروع التَّقارب، فيجب التَّأكيد فقط على نقـاط الاتِّفاق، ويُترك لكلِّ مذهب قناعاته الخاصَّة، وأنْ يَعْذِر كلُّ الآخرَ فيما يعتقد.

الرُّؤية الثَّانية: طرح جميع القضايا

تتَّجه هذه الرُّؤية إلى ضرورة طرح جميع قضايا الاختلاف المذهبيِّ في الدَّوائر الخاصَّة - دائرة العلماء، والمتخصِّصين -، وفي الدَّوائر العامَّة - دوائر الجماهير - ما دام هذا الطَّرح علميًّا وموضوعيًّا، وليس فيه ما يسيئ إلى الآخر، فتعدُّد القناعات والاجتهادات مسألة طبيعيَّة.

إنَّ الرُّؤى المذهبيَّة والتَّاريخيَّة والثَّقافيَّة والسِّياسيَّة لا تشكِّل - دائمًا - مكوِّنات تناقض وتبايـن إلَّا إذا عاشـت هذه الـرُّؤى حالات الانسجـان والانغلاق على الـذَّات، وحالات الإلغاء والنَّفي المطلق للآخر.

أنْ نتناول مسائل الاختلاف المذهبي حالة لا تتنافى مع مشروع التَّقارب، المهم أنْ يكون هناك احترام متبادل، وتفهُّم متبادل، وأنْ يكون الحوار الهادئ النَّظيف هو الذي يحكم هذا الاختلاف وليس الهوى والتعصب ونوازع (الأنا المتجمد)، وليس أغراض السِّياسة المشبوهة التي تؤجِّج العداوات والصِّراعات.

الرُّؤية الثَّالثة: تحريك الاختلافات في الدَّائرة العلميَّة

تؤمـن هذه الرُّؤية بضرورة تحريك مسائل الاختلاف في الدَّائرة العلميَّة الخاصَّة، كون هذه الدَّائرة هي التي يحكمها العقل والفكر.

أمَّـا الدَّائـرة العامَّـة - دائرة الجماهـير -، فغالبًا ما تحكمها العواطـف والانفعالات، فيجـب أنْ ننأى بهذه الدَّائرة عن (الجدليَّـات المذهبيَّة) التي قد تربك الأجواء، وتوتِّر العلاقات.

all pages.indd 61 2012-02-09 9:59:19 PM

كيف نواجه ضغوطات الاختلاف المذهبيّ؟

١- تأصيل حالة الوعي بضرورة الوحدة والتَّقارب، وبضرورة التفعيل العملي لمكوِّنات المشروع حتى لا يبقى هذا المشروع مشروعًا نظريًّا محكومًا للخطابات والشِّعارات كما هو شأن أكثر مؤتمرات الوحدة والتَّقارب، فتلك ملفَّات المؤتمرات والملتقيات متخمة بالتَّوصيات والقرارات ولكنَّها راقدة في الأدراج، يرتفع الضَّجيج الإعلامي حول شعارات الوحدة والتَّقارب، إلَّا أنَّه لا يتحرَّك منها شيئ على الأرض، بل الواقع يصرخ بما يناقض تلك الشِّعارات والخطابات.

لكي نكون صادقين يجب أنْ نحوِّل خطاب الوحدة والتَّقارب:

١- من (الشِّعار) إلى (الواقع).

٢- ومن (النَّظريَّة) إلى (التَّطبيق).

٣- ومن (العواطف) إلى (الأفعال).

٤- تأصيل مبدأ الحوار.

أ- الحوار الباحث عن الحقيقة.

ب- الحوار النَّظيف.

ج- الحوار الصَّريح - الصَّراحة العاقلة المملوءة بالحبِّ والصَّفاء والانفتاح، ومتى فقدت الصَّراحة العقلَ، والحبَّ، والانفتاح تحوَّلت إلى حالة تُكرِّس مزيدًا من الحساسيَّات، فكما أنَّ المجاملات المُفرطة لها سلبيَّاتها الضَّارة، فكذلك (الصَّراحة) غير المؤسَّسة على العقل، والحكمة، والحب، والصفاء.

٥- البرامج العمليَّة المشتركة.

هذه البرامج لها دورها الفاعل في تذويب الحواجز النَّفسيَّة، وهي تعبير صادق على جدِّيَّة المشروع، وحركته على الأرض.

(برامج ثقافيَّة، برامج تربويَّة، برامج روحيَّة، برامج اجتماعيَّة، برامج سياسيَّة، برامج في الدَّعوة والتَّبليغ).

all pages.indd 62 2012-02-09 9:59:20 PM

٦- اللِّقـاءات العلميَّـة المتخصِّصة من خـلال هذه اللِّقاءات، تعالـج مسائل الاختلاف معالجة علميَّة هادئة بعيدة عن أجواء الضَّجيج، والإعلام، والمزايدات.

مـا يسمـى بالحـوارات المذهبيَّـة، والتي تعرضهـا بعض الفضائيَّات هـي (تهويشات مذهبيَّة)، و(استعدادات مذهبيَّة)، و(انتفاشات مذهبيَّة)، وليس حوارات مذهبيَّة! لا نرفـض الحـوارات العلنيَّـة إذا كـانـت خاضـعة للمعايـير العلميَّـة، والضّـوابط الموضوعيَّـة.[٤٠]

٤٠- العلامة السيد عبد الله الغريفي (حفظه الله) تاريخ:٢٠٠٤/٠٥/١٨م، المناسبة: مولد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، المكان: جامع الصادق عليه السلام بالدراز.

all pages.indd 63 2012-02-09 9:59:20 PM

all pages.indd 64

الباب السَّادس

الحـــوار والـــوحـــدة

٦

2012-02-09 9:59:20 PM

الحوار والوحدة

الحوار وضمانات النَّجاح

قبل أنْ أتحدث عن الضَّمانات أقول: بأنَّ هناك «أزمة حوار» في الواقع الدِّينيِّ والسِّياسيِّ والثَّقافيِّ، وهنا تأتي قيمة الضَّمانات؛ لتحريك الحوار، وتتمثَّل ضمانات النَّجاح في توفُّر الشُّروط التَّالية:

الشَّرط الأوَّل: أنْ يكون هدف الحوار واضحًا

وإلّا تاهت مسارات الحوار، وتعقّدت الاتِّجاهات، وتأزَّمت الخلافات.

ماذا نريد للحوار؟

أنْ يعالج مشكلًا دينيًّا، مذهبيًّا، ثقافيًّا، سياسيًّا؟

أنْ يجمِّد معتركًا؟

أنْ يُوجد تسويات؟

أنْ ينتج موقفًا مشتركًا؟

أنْ يؤسِّس لمشروع وحدة وتقارب؟

المنطلق في أيِّ حوار دينيٍّ، أو ثقافيٍّ، أو سياسيٍّ أنْ يكون الهدف واضحًا كلَّ الوضوح، حتى لا يكون حوارًا تائهًا ضائعًا فاشلًا، أو يكون حوار طرشانَ

الشَّرط الثَّاني: الكفاءة التي تؤهِّل المتحاور لعمليَّة الحوار

امتلاك الكفاءة في موضوع الحوار:

﴿هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾.[٤١]

٤١ – آل عمران: ٦٦.

all pages.indd 65 2012-02-09 9:59:20 PM

لا يصحُّ أنْ تحاور في مسألة طبِّيَّة، وأنت لا تملك كفاءة الطِّب.
لا يصحُّ أنْ تحاور في مسألة هندسيَّة، وأنت لا تملك كفاءة الهندسة.
لا يصحُّ أنْ تحاور في مسألة أدبيَّة، وأنت لا تملك كفاءة الأدب.
لا يصحُّ أنْ تحاور في مسألة سياسيَّة، وأنت لا تملك كفاءة السِّياسة.
لا يصحُّ أن تحاور في مسألة فقهيَّة، وأنت لا تملك كفاءة الفقه.
نعم لك أنْ تطرحَ سؤالًا باحثًا عن جواب.

ولك أنْ تثير إشكالًا يتحرَّك في ذهنك.
ولك أنْ تطلب بُرهانًا أو دليلًا إذا توقَّفت القناعة على البرهان، والدَّليل.
أمَّا أنْ تدخل في حواراتٍ لا تملك كفاءاتها، فسوف تكون حواراتٍ عمياء ضائعة، وجدالاتٍ عقيمة، ونقاشات متخبِّطة، وهنا تثار إشكاليَّة حول خطاب علماء الدِّين، هذه الإشكالية تقول: إنَّكم - والخطاب لعلماء الدِّين- تعتبرون خطابكم خطابًا معصومًا لا يجوز نقده، أو مناقشته، أو محاسبته.
هذا الكلام ليس صحيحًا، فخطاب علماء الدِّين ليس معصومًا، ولا مقدَّسًا يمتنع نقدهُ، أو مناقشته أو محاسبتُه!

قبل أنْ استرسل في هذه النقطةِ أُنبِّه إلى الفرق بين صيغتين:
الصّيغة الأولى: أنْ نتحدَّث عن (خطاب الدِّين) بمعنى (النَّصّ القرآني)، و(النصّ الصادر عن الرسول صلى الله عليه وآله، يضاف إلى ذلك - وفق الرؤية الشِّيعيَّة - (النصّ الصادر عن الإمام عليه السلام.

الخطاب هنا: معصوم ومقدَّس لا يصحُّ نقدهُ، أو مناقشته، أو محاسبته.
الصِّيغة الثَّانية: أنْ نتحدَّث عن (النَّتاجات الاجتهاديَّة في فهم النَّصّ)، فهذه النَّتاجات غير معصومة، وغير مقدَّسة، فيصحُّ نقدها، ومناقشتها، ومحاسبتها.

all pages.indd 66 2012-02-09 9:59:20 PM

فخطـاب علماء الدِّين، أو خطـاب الدِّينيِّين، أو خطاب الإسلاميِّين - وفق المصطلحات السَّائدة - هذا الخطاب ما دام نتاج رؤية اجتهاديَّة، فهو ليس بمنأى عن النقد والمناقشة والمحاسبة، ولا يدَّعي أحد من علماء الدِّين - إطلاقًا - أنَّ خطابه، وآراءه، واجتهاداته فوق النقد والمحاسبة.

ما يقال: إنَّ مَن يتصدَّى للنَّقد والمحاسبة يجب أنْ يتوفر على كفاءة النقد والمحاسبة.
فـإذا كان النقد يتناول (المستوى العلمي للخطاب)، فيفترض فيمَن يمارس هذا النقد أنْ يكون متوفرًا على (الكفاءة العلميَّة).
وإذا كان النقـد يتناول (المستوى الثَّقافيّ للخطاب)، فيفترض فيمَن يمارس هذا النقد أنْ يكون متوفرًا على (الكفاءة الثَّقافيَّة).
وإذا كان النقـد يتنـاول (المستوى السِّياسـي للخطاب)، فيفترض فيمَـن يمارس هذا النقد أنْ يكون متوفرًا على (الكفاءة السِّياسيَّة).
وإذا كان النقد يتناول (المستوى القيادي للخطابة)، فيفترض فيمَن يمارس هذا النقد أنْ يكون متوفّرًا على (الكفاءة القياديَّة).
وإذا كان النقـد يتناول (الجانـب الموضوعي للخطاب)، فيفترضـ فيمَن يمارس هذا النقد أنْ يكون متوفرًا على (الكفاءة الموضوعيَّة).

الشَّرط الثَّالث: أنْ يحتكم الحوار إلى مرجعيَّة متَّفق عليها

الحـوار الذي لا يحتكم إلى مرجعيَّة متَّفـق عليها بين الأطراف المتحاورة حوار ينتهي - بالتَّأكيد - إلى طرق مسدودة، وإلى أبواب مغلقة.
وحينمـا نتحدَّث عـن مرجعيَّة الحوار، فنعنـي تلك «المسلَّمات» التـي يؤمن بها أطراف الحـوار، وعندما تغيب هذه «المسلّمات» يتحرَّك الحوار في مسارات لا تنتهي إلى اتِّفاق، ولا تنتهي إلى نتائج.
والمسلَّمات متعدِّدة:

all pages.indd 67 2012-02-09 9:59:20 PM

١- مُسلَّمات عقليَّة «القضايا البديهيَّة الأوليَّة».
٢- مُسلَّمات دينيَّة «يؤمن بها أصحاب الأديان».
٣- مُسلَّمات إسلاميَّة «يؤمن بها المسلمون جميعًا».
٤- مُسلَّمات مذهبيَّة «يؤمن بها أصحاب المذهب الواحد».
٥- مُسلَّمات وطنيَّة «يؤمن بها أصحاب الوطن الواحد».
وهكذا... .

الشَّرط الرَّابع: أنْ يكون الحوار موضوعيًّا لا تحكمه المؤثِّرات الذَّاتيَّة والدَّوافع النَّفعيَّة المصلحيَّة الأنانيَّة

أنْ لا يتمركز الحوار حول (الذَّات - الأنا)، وإنَّما يجب أنْ يتمركز حول (الهدف - الحقيقة).
لا تحاور من أجل أنْ تؤكِّد ذاتك، وإنَّما من أجل أنْ تؤكِّد «الحقيقة = الهدف المتّفق عليه».
لا تحاور من أجل أنْ تنتصر، وإنَّما من أجل أنْ تنتصر «الحقيقة» (الدِّينيَّة - الثَّقافيَّة - السِّياسيَّة - الاجتماعيَّة).

لا تحاور في القضايا الاستهلاكية على حساب القضايا المصيريَّة.
لا تحاور من أجل العناوين الصَّغيرة، وتنسى العناوين الكبيرة.
حينما تكون (الذَّات - الأنا - المصلحة الشَّخصيَّة) مركز الحوار سوف يكون حوارًا أنانيًّا متعصِّبًا، ولن ينفتح على الآخر أبدًا.
وبعبارة أخرى: سوف يكون الحوار «شيطانيًّا»، فأولُّ مَن قال «أنا المتعصِّبة» هو «إبليس».
﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾. (٤٢)

٤٢- الأعراف:١٢.

all pages.indd 68 2012-02-09 9:59:20 PM

وليس دائمًا تكون «الأنا» متعصِّبة.
«فالأنـا» التـي تنقاد لمعيار الحقِّ والباطـل ليست «أنا متعصِّبة»، أمَّـا التي تعتبر نفسها هـي معيار الحـقِّ والباطل، فهي «الأنـا المتعصِّبة»، لا أتحدَّث هنا - طبعًـا - عن «الأنا المعصومة»، فهي بلا إشكال «النَّموذج والمعيار».

الشَّرط الخامس: أنْ تحكم الحوارَ روحُ المحبَّةِ والصَّفاء، لا روحُ الحقدِ والعداءِ والكراهيَّة

حاورْ الآخر بقلبٍ مفتوح، لا بقلبٍ مغلوق.
لا تحاور الآخر بروح الكراهيَّة.
ربما ترفض فكرته، وتخطئ قناعاته، إلّا أنَّك تسعى؛ من أجل أنْ ينفتح على قناعاتك، وأنْ ينفتح على أفكارك.

فالحوار المشحون بالكراهيَّة يغلق القلوب والعقول، وإنَّك بهذا تَظلمُ الحقيقةَ التي تعتقد أنّك تحملها، وتريد أنْ تصل إلى الآخرين.

كان رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ صاحـبَ القلب الكبـير الذي استطـاع أنْ يستوعب كلَّ النَّاس ﴿ فَبِمَـا رَحْمَةٍ مِّـنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُـمْ وَاسْتَغْفِـرْ لَهُـمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَـإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَـى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِـينَ ﴾.[٤٣]
القلـوب المتكلِّسـة لا تستطيع أنْ تنفتح علـى الآخرين، ولا تملك القـدرة في أنْ تجتذب الآخرين.

الشَّرط السَّادس: لا تلغِ الآخرَ وأنت تحاورُهُ

(الآخر الإنسانيّ، الآخر الدِّينيّ، الآخر المذهبيّ، الآخر الثَّقافيّ، الآخر السِّياسيّ، الآخر الاجتماعيّ).

٤٣- آل عمران:١٥٩.

all pages.indd 69 2012-02-09 9:59:21 PM

لا تحـاور حـوارًا إلغائيًّـا، ولا تحاور حوارًا تسلطيًّـا، حتى لو كنت تعتقـد أنَّك تملك كلَّ الحقيقة.

في مرحلة الحوار اعترف بالآخر طرفًا في الحوار.

بهذا الأسلوب:

١- تجذب الآخر إلى دائرة الحوار.

٢- تخفِّف من الحساسيَّات.

٣- تفتح الآخر على أفكارك، وتنفتح أنت على أفكار الآخر، هكذا يعلِّمنا القرآن.

حينمـا كان الرَّسول ﷺ يحـاور المشـركـين وهـم يحمـلون الضَّلال كلَّ الضَّلال، وهـو ﷺ يحمل الهدى كلَّ الهدى بمـاذا كان يخاطبهم: ﴿... وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُـدًى أَوْ فِي ضَـلَالٍ مُّبِـينٍ﴾.[٤٤]

لم يتحـدَّث معهم بلغة أنَّه علـى هدى، وأنَّهم على ضلال، وإنَّما وضع نفسه طرفًا معهم في البحث عن الحقيقة، وهو الواثق كلَّ الوثوق أنَّه يملك الحقيقة.

إلّا أنَّـه الحوار الذي يفرضـ أنْ تضع الآخر على قدم المساواة معك، وهذا أرقى نموذج للحـوار عرفته البشريَّـة، وهذا أرقى بكثير مـن المقولة المعروفة «رأيـي صوابٌ يحتمل الخطـأ، ورأي غيري خطأٌ يحتمـل الصَّواب»، فأين هذا من النَّمـوذج القرآني للحوار، والذي يضع المتحاورين على قدم المساواة؟

الشَّرط السَّابع: لا تتّهم دوافع الآخر الذي تحاوره

مـن حقِّـك أنْ تحاسب الرَّأي الآخر، ومن حقِّك أنْ تخطِّئ الـرَّأي الآخر - استنادًا إلى الدَّليل والبرهان - ولكن ليس من حقِّك أنْ تتَّهم دوافع الآخر.

٤٤ - سبأ: ٢٤.

all pages.indd 70 2012-02-09 9:59:21 PM

الصَّحَّـة والخطأ أمران يخضعان للشُّروط الموضوعيَّة الميسورة الاكتشاف، أمَّا الدَّوافع الجاثمة في داخل الصُّدور، فمن العسير أنْ تُكتشف بسهولة، إلّا أنْ تتوفر الأدلَّة القاطعة التي لا تترك مجالًا للشَّكِّ.

• في الحديث: «ضع أمر أخيك على أحسنه، حتى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظنَّنَ بكلمة خرجت من أخيك سوءًا وأنت تجد لها في الخير محملًا».[٤٥]

• وفي حديث آخر: «من عرف من أخيه وثيقة دين، وسداد طريق، فلا يسمعنَّ فيه أقاويل الرِّجال».[٤٦]

وهذا لا يعني أنْ يُستغفل المؤمنون في مواجهة حالات «الاختراق»، و«الاندساس» التي يخطِّط لها أعداء الإسلام، وأعداءُ الأمَّة.

نعم المطلوب أنْ تكون «الحسابات والقناعات» قائمة على أساس من الدِّقَّة والتَّأنِّي، والبحث الموضوعي، لا على أساس من ظنون وشكوك واحتمالات، وإنْ كانت هذه الشُّكوك والاحتمالات ربَّما تفرض درجةً من التَّحفُّظ والاحتياط حسب خطورة القضايا والأمور.

الشَّرط الثَّامن: التَّأكيد على نقاط الاتِّفاق أوَّلًا

هذا هو منهج القرآن في الحوار:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.[٤٧]

٤٥- الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ ص ٣٦٢- تحقيق : تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري- الطبعة: الرابعة- سنة الطبع: ١٣٦٥ ش- المطبعة: حيدري- الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران.

٤٦- نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٢ ص ٢٤ - تحقيق، شرح: الشيخ محمد عبده- الطبعة: الأولى- سنة الطبع: ١٤١٢ - ١٣٧٠ ش- المطبعة: النهضة - قم - الناشر: دار الذخائر- قم - ايران.

ملاحظة: نهج البلاغة وهو ما جمعه السيد الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

٤٧ - آل عمران:٦٤.

all pages.indd 71 2012-02-09 9:59:21 PM

من أجل أنْ يتحرَّك الحوار بعيدًا عن التَّعقيدات والتَّشنُّجات، فليبدأ بالتَّأكيد على نقاط الاتِّفاق والاشتراك.

١- فحينما يكون الحوار (دينيًّا - علمانيًّا)، فهناك القِيم الإنسانيَّة والوطنيَّة المشتركة.

٢- وحينما يكون الحوار (إسلاميًّا - مسيحيًّا)، فهناك الإيمان بالله، والأنبياء، والمعاد، أمور مشتركة.

٣- وحينما يكون الحوار (بين المذاهب الإسلاميَّة)، فهناك الأصول الإسلاميَّة، والمُسلَّمات الدِّينيَّة المشتركة.

٤- وحينما يكون الحوار (في داخل المذهب الواحد)، فهناك المساحات المذهبيَّة المشتركة.

وهكذا بالنِّسبة إلى الحوارات السِّياسيَّة، والثَّقافيَّة، والاجتماعيَّة.

ما نلاحظه على الحوارات المتحرِّكة في السَّاحةِ الدِّينيَّةِ والثَّقافيَّةِ والاجتماعيَّةِ والسِّياسيَّةِ أنَّها حواراتٌ تحاول دائمًا أنْ تنسف القواسم الموحِّدة، وأنْ تحرق الأرض المشتركة، وتبدأ بنقاط التَّوتُّر والخلاف الحادِّ، فيتشنَّج الحوار، وتتأجج الانفعالات، وتشتعل العداوات، وعندها تضيع الحقيقة في وسط هذا الضَّجيج، ويفشل الحوار.

الشَّرط التَّاسع: أنْ تكون لغةُ الحوارِ نظيفة

• ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.[٤٨]

• ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.[٤٩]

• ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ

٤٨ - النحل: ١٢٥.

٤٩- العنكبوت: ٤٦.

all pages.indd 72 2012-02-09 9:59:21 PM

كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.[٥٠]

- ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.[٥١]
- ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾.[٥٢]

لغة السبِّ، والقذف، والتَّشهير تعبِّر عن عجز وإفلاس، كما أنَّ هذه اللُّغة تساهم في تأجيج الخلافات، وتشنيج العلاقات، وتحريك الصِّراعات، وربما أشعلت حروبًا، وسفكت دماء.

ثم إنَّها ليست من خُلق الدِّين.

إنَّ الأساليب العدوانيَّة في الشَّتم والسَّب، والاتِّهامات غير المدروسة أمرٌ لا يقرُّه الإسلام، ويرفضه رفضًا قاطعًا، فمهما كانت درجة الخلاف، فيجب أنْ تبقى القِيم النَّظيفة هي الحاكمة لهذا الخلاف.

في حرب صفِّين - الحرب التي دارت بين الإمام عليٍّ ومعاوية - سمع الإمام عليٌّ قومًا من أهل العراق يسبُّون أهل الشَّام، فقال لهم غاضبًا: «إنّي أكره لكم أنْ تكونوا سبَّابين، ولكنَّكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوبَ في القول، وأبلغ في الحذر، وقلتم مكان سبِّكم إيَّاهم: اللَّهمَّ، احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغيِّ والعدوان من لهج به».[٥٣]

---

٥٠ - فصلت: ٣٤.

٥١ - الأنعام: ١٠٨.

٥٢ - الإسراء: ٥٣.

٥٣ - نهج البلاغة الخطبة ٢٠٦.

all pages.indd 73 2012-02-09 9:59:21 PM

إنَّ التَّراشـق بالتُّهم غـير المسؤولة وغير الدَّقيقة، وتبادل السّبـاب والشَّتائم المنفلتة والمتشنِّجـة، كلُّ ذلـك لـه مردوداته الخطيرة جـدًّا على واقع المسلمـين، ممَّا يعطي الفرصـة لأعـداء الإسلام، وأعداء الأمَّـة أنْ يحقِّقوا مآربهـم، وأهدافهم في تمزيق وحدة المسلمين.

الشَّرط العاشر: أنْ تكون لغةُ الحوار ليِّنةً مرنةً شفَّافةً

• ﴿فَبِمَـا رَحْمَـةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُـمْ وَاسْتَغْفِـرْ لَهُـمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْـرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَـوَكَّلْ عَلَـى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.[٥٤]

• ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ❖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾.[٥٥]

المرونة والشَّفافيَّة

١- تُوفِّر الجوَّ الهادئ للحوار والدَّعوة.

٢- تُخفِّف من التَّعقيدات التي تواجه الحوار.

٣- تَفتحُ القلوبَ، والعقول.

أمَّا الحدَّةُ (القسوة)، فلها نتائجها المدمِّرة.

• في الحديـث: «الحـدَّةُ ضربٌ من الجنون، لأنَّ صاحبها ينـدم، فإنْ لم يندم، فجنونه مستحكم».[٥٦]

• وفي حديث عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «المؤمن.. ليِّنٌ هيِّنٌ، سمحٌ، له خُلقٌ حسن».[٥٧]

• وفي حديث عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنَّ الله (عزَّ وجلَّ) رفيقٌ يحبُّ الرِّفْقَ، ويعطي

---

٥٤ – آل عمران:١٥٩.

٥٥ – طه:٤٣-٤٤.

٥٦ نهج البلاغة – خطب الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ – ج ٤ ص ٥٦ – تحقيق : شرح : الشيخ محمد عبده- الطبعة : الأولى- سنة الطبع : ١٤١٢ – ١٣٧٠ ش- المطبعة : النهضة – قم- الناشر : دار الذخائر – قم – ايران.

٥٧ – الأمالي – الشيخ الطوسي – ص ٣٦٦ – تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة- الطبعة: الأولى- سنة الطبع: ١٤١٤- الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع – قم.

all pages.indd 74 2012-02-09 9:59:21 PM

على الرِّفقِ ما لا يعطي على العُنْف».[٥٨]

فما أجمل أنْ نتعاطى مع الآخر الذي نختلف معه بكلِّ أخلاقيَّة وشفافيَّة لا بروح الغضب والانفعال.

• يحدِّثنا التَّاريخ أنَّ الحريث - أحد رجال الخوارج - قال لأمير المؤمنين (عليه السَّلام) أيَّام خلافته: لا أأْتمُّ بك، ولن أشهد معك الصَّلاة، ولن أأتمر بأمرك، ولن يكون لك عليَّ سلطان.

فقال له أمير المؤمنين: لك ذلك، مع عطائك كاملًا على شريطة أنْ لا تعتدي على أحدٍ، فإنْ اعتديت عاقبتك بما تستحقُّ.

وفي ضوء الحديث عن المرونة، والشَّفافيَّة تستوقفنا مسألتان مهمَّتان جدًّا:

المسألة الأولى: إنَّ المرونة والشَّفافيَّة لا تعني مجاملة الباطل والفساد والانحراف، ومداهنة الأفكار الضَّالَّة والمعادية للدِّين، والأخلاق، والقِيم.

حينما يتحدَّث الدُّعاة عن المبادئ الكافرة، والاتِّجاهات الضَّالَّة، والأفكار المنحرفة، والأعراف الفاسدة، والقِيم الفاسقة.

يقول البعض: أين الشَّفافيَّة التي تدَّعونها؟

هذا فهمٌ خاطئٌ لمعنى الشَّفافيَّة.

ليس من الشَّفافيَّة الإقرار بالأوضاع الفاسدة والسَّيِّئة الخاطئة، والمنحرفة، والضَّارة.

نعم لا يجوز أنْ أسوقَ الاتِّهامات بلا دليلٍ ولا برهانٍ، أمَّا أنْ أحاسب الأفكار والمفاهيم الواضحة في انحرافها عن الإسلام، وأنْ أحاسب الظَّواهر الواضحة في فسادها، وأنْ أحاسب الأعراف الواضحة في خروجها على ثوابت الدِّين، فهذا لا يتنافى مع الشَّفافيَّة.

---

٥٨ - الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ ص ١١٩- تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري- الطبعة: الرابعة - سنة الطبع: ١٣٦٥ ش- المطبعة: حيدري- الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران.

all pages.indd 75 2012-02-09 9:59:21 PM

القـرآن وهـو كتاب الحـوار والشَّفافيَّة نـراه مشحونًا بالآيات التي تتحـدَّث عن الكفر والكافريـن والمشركين، والضَّلال والضَّالين، والنِّفـاق والمنافقين، والفساد والمفسدين، والفسق والفاسقين، والجهل والجاهلين.

المسألة الثَّانية: كيف نوفِّق بين نوعين من الخطاب القرآني:

الأوَّل: ﴿... وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...﴾.[٥٩]

الثَّاني: ﴿... وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.[٦٠]

لكي نوفق بين هذين النَّوعين من الخطاب القرآني يجب أنْ نفرِّق بين حالين:

الحـال الأوَّل: في حـال الحوار والدَّعـوة والتَّبليغ يجب أن يكون الإنسـان المسلم (مَرِنًا منفتحًا شفَّافًا).

- ﴿... وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...﴾.[٦١]
- ﴿... وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.[٦٢]
- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.[٦٣]

الحـال الثَّاني: في حـال المواجهـة والتَّحدِّي والصِّـراع يجب أنْ يكـون الإنسان المسلم (حدِّيًّا شديدًا صارمًا).

- ﴿... أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾.[٦٤]
- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾.[٦٥]

٥٩- النحل:١٢٥.

٦٠ - التوبة:٧٣.

٦١- النحل:١٢٥.

٦٢ - سبأ: ٢٤.

٦٣ - آل عمران:٦٤.

٦٤ - الفتح:٢٩.

٦٥ - الكافرون:١.

all pages.indd 76 2012-02-09 9:59:22 PM

• ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾. (٦٦)

الشَّرط الحادي عشر: صراحة مملوءة بالحبِّ والصَّفاء والأُخوَّة

بمقدار ما نريد للحوار أنْ يكون صريحًا، نؤكِّد أنْ تكون الصَّراحة مملوءة بالكثير الكثير من الحبِّ والصَّفاء والأُخوَّة، لأنَّ الصَّراحة التي لا يحكمها قدرٌ كبيرٌ من الحبِّ والصَّفاء والأخوَّة تتحوَل إلى مصدرِ «عُقدٍ وإثاراتٍ»، وربَّما كرَّست في داخل النَّفس مزيدًا من «الحساسيَّات والتَّشنُّجات» التي تضرُّ بأهداف الحوارات واللِّقاءات.

فكما أنَّ «المجاملات المفرطة» لها سلبيَّاتها الكبيرة، كذلك «الصَّراحة» غير المؤسَّسة على الحبِّ والصَّفاء والأُخوَّة لها سلبيَّاتها الخطيرة.

فمن الضَّروريِّ أنْ تتوفَّر حواراتنا على الصَّراحة المعبَّأة بأصدق مشاعر المحبَّة والأُخوَّة، والمشحونة بأنظف الكلمات، عندها تؤدِّي الصَّراحة وظيفتها في معالجة الاختلافات الدِّينيَّة والمذهبيَّة والسِّياسيَّة والثَّقافيَّة والاجتماعيَّة، وإلّا تحوَّلت إلى مصدرٍ من مصادر الإثارة والخلاف والتَّباعد والتَّباغض.

الشَّرط الثَّاني عشر: أنْ يتَّفق المتحاورون على شروط الحوار وعلى الالتزام بها

أيُّها الأحبَّة، وفي ختام هذه الكلمة المتواضعة أقول: ما أحوجنا إلى خطاب الوحدة والتَّقارب، وإلى خطاب المحبَّة والتَّآلف في مواجهة خطابات التَّجزئة والتَّفتيت، وخطابات الكراهيَّة والبغضاء، وخطابات التَّشدُّد والتَّطرُّف.

ما أحوجنا إلى الخطاب الذي يزرع الثِّقة المتبادلة في مواجهة خطابات التَّحريض

٦٦ - التوبة:٧٣.

all pages.indd 77 2012-02-09 9:59:22 PM

والتَّشكيك والاتِّهام.

ما أسوء الخطاب الذي يدمِّر الألفة والمحبَّة بين أبناء الشَّعب الواحد.

ما أسوء الخطاب الذي يحرق الأُخوَّة الإيمانيَّة والوطنيَّة.

ما أسوء الخطاب الذي يمارس التَّحشيد والتَّحريض، والظَّلم والإساءة والاتِّهام.

ثم ما أسوء الخطاب الذي يسفك الدِّماء.

• في الحديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «يعذّب اللهُ اللِّسان بعذابٍ لا يعذّب به شيئًا من الجوارح، فيقول: أي ربّ عذّبتني بعذابٍ لم تعذِّب به شيئًا؟

فيقال له: خرجتْ منك كلمةٌ، فبلغت مشارقَ الأرضِ ومغاربها، فسُفِكَ بها الدَّمُ الحرامُ، وانتُهِبَ بها المالُ الحرامُ، وانتُهِك بها الفَرْجُ الحرام، وعزّتي وجلالي لأعذِّبنَّك بعذابٍ لا أعذِّبُ به شيئًا من الجوارح».[٦٧]

وأكرّر، وأؤكِّد: مهمٌّ ومهمٌّ جدًّا أنْ ينطلق خطاب الوحدة والمحبَّة قويًّا وصادقًا وصريحًا وشفَّافًا.

والأهمُّ الأهمُّ أنْ يكون هذا الخطاب عمليًّا متحرِّكًا على الأرض؛ لتتحوَّل الأقوال إلى الأفعال، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ❖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.[٦٨]

وكيف نحرِّكُ هذا الخطاب؟

أنا أدعو إلى انطلاق (فعاليَّات عمليَّةٍ مشتركةٍ بين السُّنةِ والشِّيعة):

• فعاليَّات ثقافيَّة (ندوات، محاضرات، مهرجانات، مسابقات).

• فعاليَّات علميَّة (دروس فقهيَّة، قرآنيَّة، أخلاقيَّة).

٦٧- الكافي - الشيخ الكليني ج ٢ ص ١١٥- تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري- الطبعة: الرابعة- سنة الطبع: ١٣٦٥ ش- المطبعة: حيدري- الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران.

٦٨ - الصف:٢-٣.

all pages.indd 78 2012-02-09 9:59:22 PM

- فعاليَّات روحيَّة (صلوات، أدعية ...).
- فعاليَّات خيريَّة (مساعدات، خدمات، رعاية أيتام).
- فعاليَّات اجتماعيَّة (زيارات، سفرات، مناسبات الأفراح والأحزان).
- فعاليَّات تبليغيَّة (برامج دعوة وتبليغ مشتركة).
- فعاليَّات سياسيَّة (فيما هي الهموم المشتركة، والمصالح المشتركة).

ولا نشكَّ أنَّ هذه الدّعوة تواجهها مجموعة معوِّقات نفسيَّة وفكريَّة واجتماعيَّة وسياسيَّة، فيجب التَّفكير الجادُّ في معالجة هذه المعوِّقات، أو التَّخفيف من حدَّتها، وإنْ حاولت بعض الجهات على تكريسها.

إنَّ اللِّقاءات المتكرِّرة بين العلماء والمثقَّفين والشَّخصيَّات الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة تساهم مساهمة فعَّالة في تذويب الجليد، وإزالةِ الحواجزِ، وتقريبِ وجهاتِ النَّظر، وتخفيفِ الاحتقانات، وتجذيرِ مكوِّناتِ الوحدةِ والتَّقارب، والضَّغط على بُؤر الإثارات والنِّزاعات والتَّشنُّجات، ومعالجة الأسباب المنتجة للطَّائفيَّة في خطِّها السَّلبيِّ المتطرِّف، ونتمنَّى أنْ تُدرس هذه الأسباب دراسة علميَّة موضوعيَّة من قبل العلماء والمفكِّرين والمثقَّفين والسِّياسيِّين؛ من أجل أنْ نؤسِّس لمشروع توحيديٍّ قادرٍ على أنْ يتجاوز كلَّ المعوِّقات، والعقبات.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين.[٦٩]

٦٩- العلامة السيد عبد الله الغريفي (حفظه الله) - خطاب الوحدة: الاتِّجاهات والمواقف - الحوار وضمانات النجاح - بتاريخ:١٧/شوال/١٤٢٩هـ- الموافق: ١٩/ ١٠/ ٢٠٠٨م، المكان: بيت القرآن. المنامة.

all pages.indd 79 2012-02-09 9:59:22 PM

www.Olamaa.net

all pages.indd 80 2012-02-09 9:59:22 PM